القيم الأخلاقية عند كانط
" دراسة تحليلية"

The Moral Values OF Kant
" an analytical study "

إعـــــــداد

أ. بسنت محمد محمد نعيم
باحثة ماجستير
بقسم الفلسفة بكلية لآداب

أ.د. فضل الله محمد إسماعيل
أستاذ فلسفة السياسة
عميد كلية الآداب الأسبق

جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى الستون - يوليو -الجزء الثانى - لسنة 2023

القيم الأخلاقية عند كانط " دراسة تحليلية"

أ. بسنت محمد محمد نعيم

أ.د. فضل الله محمد إسماعيل

ملخص باللغة العربية :

عمل كانط على التصالح بين العلم والدين بطريقة تبدو فريدة من نوعها فأتسمت فلسفته الأخلاقية بالمثالية ، ولقد رفض كانط أن يؤسس القيم الأخلاقية على إمكانات أخرى غير الإرادة الخيرة ، كما رفض أن يؤسس القيم الأخلاقية على الدين والميتافيزيقا بل العكس هو الصحيح فأسس الدين والميتافيزيقا على الأخلاق وذلك بخلاف الفكر الأخلاقي ماقبل كانط ، الذي استخلص المفاهيم الأخلاقية من ماهو ميتافيزيقي.

نظر كانط إلى الإنسان باعتباره موجوداً أخلاقياً ، أنه كائن عاقل يملك من العقل والإرادة مايستطيع معه تجاوز مستوى الغريزة ، إلى مستوى السلوك الأخلاقي الحر ، ولقد بنى كانط فلسفته الأخلاقية على مبدأ الإرادة الخيرة والتي اعتبرها الشرط الضروري والمعيار المحدد لأخلاقية الفعل من عدمها و تعتبر الإرادة الخيرة في نظر كانط الشئ الوحيد الذي يمكن اعتباره خيرا في ذاته و هذه الإرادة هي غاية في ذاتها و ليست مجرد وسيلة ، و يمكن تحقيق هذه الإرادة الخيرة عند كانط عن طريق العقل الذي ليس وجوده في الإنسان بقصد تحقيق المتعة أو السعادة و إنما الهدف الحقيقي له ينبغي أن يتجه إلى بعث إرادة خيرة فينا .

ويربط كانط بين الإرادة الخيرة ، و بين فكرة الواجب و هذا الواجب يعد بمثابة صمام الأمن أو القانون الذي تخضع له الإرادة الخيرة أو هو ما ينظمها و يعتبر كانط الواجب أمر جازم يحملنا على طاعته احتراما له دون اعتبار لمنفعة أو لذة .

فمن منظور كانط الواجب شئ ضروري كلي لأنه نابع من إرادة طيبة ، و الواجب الأخلاقي هو إلزام نفرضه على أنفسنا و هو في النهاية يعبر عن دلالة أساسية مفادها أننا نؤدي الواجب لأننا نريد من أعماق أنفسنا و بالتالي إنه منزه من كل غرض ، بمعنى أنه لا يطلب من أجل تحقيق منفعه أو بلوغ الساعدة بل هو يطلب لذاته فليست الأخلاق هي التي تعلمنا كيف نكون سعداء بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة .

فالقانون الأخلاقي عند كانط يوجد في الكائن العاقل نفسه فهو ينبثق من إرادته التي يكون مبدؤها حين إذ هو ألا يقدم الإنسان على فعل إلا بما يتفق مع مسلمه من شأنها أن تكون قادرة على أن تصبح قانوناً كلياً عاماً .

و يحدد كانط قواعد ثلاث جوهرية للقانون الأخلاقي لابد أن يلتزم بها الفعل الأخلاقي حتى تكون له قيمة أخلاقية و هي كالآتي :

أ – قاعدة التعميم

إعمل دائما بحيث يكون في إستطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانونا كليا للطبيعة

ب – قاعدة الغائية

و تنص هذه القاعدة على أن

إعمل دائما بحيث تعامل الإنسانية في شخصك و في الأشخاص الآخرين كغاية في ذاتها، لا مجرد وسيلة

ج – قاعدة الحرية (الإستقلال الذاتي)

استخلص كانط من مفهوم القاعدتين السابقتين قاعدة ثالثة صاغها على النحو التالي :

إفعل على أن تراعي في فعلك أنك خاضع للقانون ، و مصدره في الوقت ذاته

فهي تقر بضرورة الإلتزام بالقانون بإعتباره المصدر الوحيد له و تكون هذه الإرادة بحيث هي غاية في ذاتها و ليس مجرد وسيلة و أن الفعل الخلقي أساسه و منبعه السلطة الداخلية العميقة التي ترى أن الإرادة هي جوهر للتشريع الخير فهي تعمل على أن تكون مستقلة لتمام حريتها. وقد إحتلت فكرة الحرية في نسق كانط النقدي ذروته و إحتلت أعلى قيمته ، فهي تشمل وحدة و تماسك المذهب النقدي لكانط يعتبر مفهوم الحرية حجر الأساس في كل النسق المعماري للعقل العملي لكانط بوصفها شرطا للقانون الأخلاقي لا بوصفها موضوعا للفهم إذا الحرية هي شرط القانون الأخلاقي .

ملخص باللغة الإنجليزية:

The ethical project of the German philosopher Immanuel Kant

Kant worked to reconcile science and religion in a way that seems unique, so his ethical philosophy was characterized by idealism. Kant refused to base moral values on possibilities other than the benevolent will. He also refused to base moral values on religion and metaphysics. On the contrary, the foundation of religion and metaphysics is on ethics. Unlike pre-Kantian moral thought, which extracted ethical concepts from what is metaphysical.

Kant viewed man as a moral being, that he is a rational being who possesses reason and will with which he can transcend the level of instinct, to the level of free moral behaviour. In Kant's view, the only thing that can be considered good in itself, and this will is an end in itself and not just a means, and this good will can be achieved according to Kant through the mind, whose presence in man is not intended to achieve pleasure or happiness, but rather its real goal should be To turn to send a good will in us.

Kant connects between the benevolent will, and the idea of duty, and this duty is a security valve or the law to which the benevolent will is subject or is what regulates it,and Kant considers duty a firm command that compels us to obey him out of respect for him without regard to benefit or pleasure.

From Kant's perspective, duty is something totally necessary because it stems from a good will, and moral duty is an obligation that we impose on ourselves, and in the end it expresses a basic indication that we perform duty because we want from the depths of ourselves, and therefore it is free from every purpose, in the sense that it does not demand In order to achieve his benefit or reach the help, but rather he asks for himself, so it is not morals that teach us how to be happy, but rather it is the doctrine that teaches us how to be worthy of happiness.

The moral law according to Kant is found in the rational being itself, as it emanates from his will, the principle of which is when a person does not perform an action except in accordance with his axiom, which would be able to become a universal and general law.

Kant identifies three fundamental rules of the moral law that must be adhered to by a moral act in order for it to have a moral value, and they are as follows:

A - generalization rule

Always work so that you can make the rule of your action a universal law of nature

B - teleological rule

Always work so that you treat humanity in your person and in other people as an end in itself, not just as a means

C - the rule of freedom (self-independence)

Kant derived from the concept of the two previous rules a third rule that he formulated as follows:

Act on the condition that you take into account in your action that you are subject to the law and its source at the same time

It acknowledges the necessity of adhering to the law as the only source for it, and this will is such that it is an end in itself and not just a means, and that the moral act is its basis and its source is the deep inner authority that believes that the will is the essence of good legislation, so it works to be independent in order to complete its freedom.

The idea of freedom in Kant's monetary system occupied its peak and occupied its highest value, as it includes the unity and coherence of Kant's critical doctrine, and the concept of freedom is considered the cornerstone of all the architectural system of Kant's practical mind as a condition for moral law, not as a subject for understanding, so freedom is a condition for moral law.

المقدمة

يخضع الإنسان في تصرفاته وأفعاله لقيم وقواعد خلقية، تمثل له مرجع أساسي يثمن أفعاله ويحدد سلوكياته، والأخلاق هي مجموعة المبادئ المعيارية التي ينبغي أن يجري السلوك البشري بمقتضاها، فهي التي ترسم طريق السلوك الحميد، وتحدد بواعثه وأهدافه، وأهمية موضوع الأخلاق يثير وراءه مشكل أساسي ألا وهو مصدر قيمتها. فالفلاسفة في تأملهم للحياة الأخلاقية كما يمارسها الناس يحاولون استخلاص مبادئ فلسفية تفسر الأخلاق ، ولكن المبادئ التي وصلوا إليها لم تكن واحدة، فقد اختلفت المذاهب الفلسفية في تفسيرها للأخلاق وتعددت بذلك المذاهب الأخلاقية حسب تعدد المبادئ التي تدعو إليها، ويعد كانط من أبرز الفلاسفة الذين أبدوا اهتماما بالغا بالمسألة الأخلاقية.

أحدثت فلسفة كانط ثورة في مجال الأخلاق ومكنت من تحرير الفعل الخلقي وكشفت عن استحالة صدور القانون الأخلاقي عن التجربة والدوافع الطبيعية للإنسان، فنظريته في الأخلاق تمثل انعطافا هاما في تاريخ الأخلاق، فبعدما كانت النظريات الأخلاقية القديمة ترى في الواجب وسيلة لبلوغ غايات متعددة، ظهر كانط ليجعل من الواجب غاية في ذاته، فأعلن أنه لا يجوز أن يعامل الإنسان على أنه وسيلة بل على أنه غاية، فأكد بذلك مبدأ الكرامة الإنسانية، ولكن على الرغم من أهمية هذه الأفكار، فقد جعلت الإنسان يسعى لبلوغ مثال أعلى لا يمكن بلوغه، فكانت بذلك نظريته نظرية مثالية. كما أن اعتبار العقل أساسا وحيدا للأخلاق هو بمثابة نفي للأسس الأخرى للأخلاق كالأساس الديني والاجتماعي والنفعي.

وقد كان الهم الأكبر لكانط، هوالبحث عن مبادئ عامة توحد المقاييس الأخلاقية، بحيث تجد البشرية دربها الآمن للتعايش والسلم، دونما عنف تراه العين كل يوم، وحينما تأمل كانط الأمر، اكتشف أن الاعتماد على العاطفة والوجدان والانتماء التاريخي، أي تلك المكتسبات القادمة من التاريخ والمترسبة في جوف الإنسان، لا تحل القضية الأخلاقية نهائيا، بل هي من تسقط الإنسان في الشر، لأنها باختصار، متضاربة وتؤدي إلى التطاحن والتقاتل، وما الحروب باسم الدين أو باسم العرق أو المذهب، إلا من مؤشرات ذلك، فالعاطفة لا تأتي منها إلا الحماسة والاندفاع، فهي تغمض البصيرة وتعمي الحكمة، الأمر الذي دفع كانط إلى الاتجاه صوب العقل، معتبرا إياه «أعدل قسمة بين الناس توزيعا»، كما روج لذلك الفيلسوف ديكارت، ومن ثم ما على البشرية إلا التنقيب عن بعض القواعد العقلية التي يمكن الارتكان إليها وبوضوح تام، وتكون لها صفة المشترك والقبول عند كل حس سليم.

وقد حاول كانط إضفاء صفة الجلال والقداسة على الأخلاق العقلية المحضة والخالصة، مما أدى به إلى تأليف كتاب أسماه «الدين في حدود مجرد العقل». وكان يريد من خلاله، أن يرسم ملامح جمهورية للفضيلة مستقبلية، لن تصل إليها البشرية إلا بمجهودها الخاص. فهو يسعى إلى جعل أخلاقه بمثابة الدين العمومي والكوني، الذي يهدف إلى نوع من التربية المدنية للإنسان، تنقلنا من المواطن السلبي إلى المواطن النشيط. ومن هنا جاء موضوع البحث ، محاولة من الباحثة لمناقشة القيم الأخلاقية عند كانط.

المبحث الأول
الأخلاق في الفكر الحديث قبل كانط

تمهيد:

شهد العصر الحديث نمواً متزايداً في المعارف والقيم في مجالات الحياة كافة وعلي الصعيد الفكري الأخلاقي خاصة ، ومن الواضح أن هذه المعارف والقيم لا تأخذ طريقها نحو النمو من دون أخلاق هادفة تسهم في تكوين الإنسان القادر على الارتقاء بحياته وحياة مجتمعه، فضلاً عن مشاركته في شتى مناحي الأنشطة الفكرية، وقد حاولت المذاهب الفلسفية المختلفة عبر العصور الإنسانية إثارة الكثير من الأسئلة في العملية الأخلاقية ونذكر في ذلك الصدد العصر الحديث.

ولقد اختلف العصر الحديث عن العصور الوسطى في تقلص سلطة الكنيسة وازدياد سلطة العلم الأمر الذي أفسح المجال لحرية الفكر والتعبير.

أولاً: توماس هوبز (1588. 1679)

نجد **توماس هوبز** قد أقام تصوره للحياة الخلقية على غريزة حب البقاء أو المحافظة على الذات وهي غريزة أساسية تتحكم في الوجود الإنساني كله لأن الإنسان من وجهة نظره لم يكن اجتماعياً بل أناني محباً لذاته لا يعمل إلا لمصلحته الخاصة (1)، فالوجود الإنساني يقتضي لضمان وجوده واستمراره أن يعمل على كل ما من شأنه المحافظة على الذات.(2)

---

(1) فضل الله محمد إسماعيل : **فلسفة القوة أصولها وتطورها في الفكر السياسي الغربي**،ط 1، مكتبة بستان المعرفة للنشر والتوزيع ، كفر الدوار، ص 42.

(2) محمد مهران رشوان :**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998، ص135.

وكان" **هوبز** "أحسن من مثّل مذهب اللّذة أو مايسمى بالمذهب الأخلاقي الأنانيّ أو الفرديّ، و الذي هو امتداد أيضا لمذهب اللّذة الأبيقوري و القورينائيّة، وتعتبر آراءه أكثر الآراء إثارة للجدل، فقد أظهر ما يسمى بالمذهب الفردي الذي يؤكّد على الحريّة الإنسانيّة بمعزل عن الوحي المسيحي، فالإنسان بطبعه أناني شرير حسب" هوبز"، كما يؤكّد أكثر من ذلك أنه ليس بمقدور الأخلاق عنده أن تحاز على سلطة على سلوكنا ما لم تكن معزّزة بسلطة سياسيّة، وعنده الملك هو الذي يقرّر الخير و الشّر(3).

وعند هوبز لا توجد العدالة إلاّ متى ارتبط الإنسان بالآخرين عن طريق الدّولة المشروعة للقانون، و بهذا ربط هوبز"الأخلاق بإرادة الحاكم وهو ما انعكس علي مذهبه الأخلاقي(4)، و هو ما ثار عليه السخط من الكثيرين، و لكن من جهة أخرى كان نقطة بدء صدرت عنها اتجاهات الفلسفة الخلقيّة الحديثة مثل المذهب العقلي الحدسي، كما يكون أوّل الفلاسفة المحدثين الذين سيحاولون إقامة علاقة بين النظريّة السياسيّة و الأخلاق، إلى جانب أنه عمل ما في وسعه لتفسير هذا المذهب على أسس علميّة، تغطي جميع حقائق الطبيعة بما فيها السلوك البشري في ناحيته الفرديّة و الاجتماعية(5)

ثانياً :رينيه ديكارت (1596. 1650)

أقام **يكارت** في مذهبه الأخلاقي تفرقة بين نوعين من الخيرات :الخيرات التي في مقدورنا ونحن مسئولون عنها مسؤولية أخلاقية، والخيرات التي ليست في مقدورنا ولسنا بمسئولين عنها، **فالنوع الأول** هو الخيرات الحقة لأنها ترجع إلى الإنسان وله قدرة فيها، أما **النوع الثاني** فلا، وأما الخير الأسمى فهو المعرفة الحقة، لأن الخير والحق عنده أمر واحد، فلا فرق لديه بين الحق العلمي المتصل بالمعرفة الحقة، وبين الحق الأخلاقي المتمثل في الخير الأسمى.(6)

وتري الباحثة أن ديكارت رأي بأن الإنسان لن يكون سعيدا إلا إذا عمل وفقاً للعقل، وأول درجات السعادة هو السير وفق الوجة الملائم لمعرفة الله الحقة فهي في نظر **ديكارت**

---

(3) محمد مهران رشوان :**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ، مرجع سابق ، ص135.

(4)فضل الله محمد اسماعيل ، سعيد محمد عتمان :نظرية **القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي**، بدون ط ، مكتبة بستان المعرفة ، كفر الدوار ،2006، ص60.

(5) جون هوسبرس: **السلوك الإنساني مقدّمة في مشكلات علم الأخلاق**، ترجمة علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعيّة1995، ،ص339.

(7) إبراهيم مصطفى إبراهيم :**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000 م، ص11.

وحدها الكفيلة لاكتشاف عظمة العالم ونظامه، فنجده يقول: تملؤني معرفة قدرة الله إجلالاً له ومحبة لخليقته تبعا لمحبته، وحرصًا على إنفاذ مشيئته وسننه في هذه الخليقة ، فأروض نفسي على تحري الخير والحق (7).

وبهذا يكون هدف ديكارت من مذهبه الأخلاقي هو الوصول إلى السعادة التي "تحصل بسيطرة النفس أو العقل على انفعالات الفرد في تعامله مع العالم الخارجي.(8)

ثالثا:باروخ اسبينوزا(1632. 1677)

رأى **سبينوزا** أن القيم هي ذلك " الأثر الذي تتركه الذات كى تصنعه وتفرضه على العالم، بمعنى أنها أحوال الأفكار للبشر وتصوراتهم، ومن ثم لا توجد القيم في الأشياء والموضوعات الخارجية ، وإنما يضفي الإنسان على الموجودات قيمة معينة ، بمعنى أن الشرية والخيرية هي معايير الذات النسبية ، فالشر ليس شراً في ذاته ، وإنما شر بالنسبة لطبيعة الموقف ، ومن زاوية الإرادة والعقل "(9).

وترتبط نظرة **سبينوزا** للقيم الأخلاقية ارتباطاً وثيقاً بفكرته عن الضرورة والحتمية ، كقانون يسير العالم وفقاً له ، وهذا يعني أن كل ما يحدث في العالم يحدث وفقاً لضرورة مطلقة ، وليس له غاية محددة ، مما يجعل تلك القيم في عداد الأحكام الذاتية أو القيمية ، التي تعود في الغالب إلى رغبة الإنسان الدائمة ، في جعل نفسه محور الوجود كله ، وذلك بإعتقاده أن جميع الحوادث والأحداث لا بد أن تنتهي إليه ، وأنها وضعت وسيرت بطريقة تسد حاجاته ، وتخدم أغراضه في الحياة ، ومن هذا المنطلق أصدر أحكامه البعيدة عن الموضوعية وهذا يتفق مع وجهة نظر الفلاسفة التقليديين الذين كانوا يرون أن القيم الأخلاقية هي الغاية النهائية لسلوك الطبيعة بأسرها ".(10)

إن تفسير **سبينوزا** لوجود القيم الأخلاقية ، كالخير والشر ، الجمال والقبح ، النظام والفوضى ، وغيرها من القيم في حياة الناس ، عائد إلى قلة معرفة الإنسان للأشياء ، وجهله بنظام الطبيعة وتماسكها ككل واحد ، ولأنه يريد أن تجري الأشياء وفقا لتفكيره ، مع أن ما يعتبره العقل سيئا أو شرا ليس سيئا أو شرا بالنسبة إلى نظام الطبيعة ، بل بالنسبة إلى طبيعتنا الخاصة المنفصلة وكذلك القبح والجمال أمران اعتباريان أيضا ، لا يدلان

---

(8) نظمى لوقا :**الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت**، المطبعة الفنية الحديثة، 2003، ص 177.

(9) مهدي فضل الله :**فلسفة ديكارت ومنهجه**، ط2 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، 1987،ص 176.

(10) محمود اسماعيل قباري:**علم الاجتماع والأيديولوجيات**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص 38.

(10) فؤاد زكريا :**سبينوزا** ، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983،ص 198.

على حقيقة ثابتة والأشياء توصف بالجمال أو القبح ، والنظام أو عدمه بالنسبة إلى مداركنا وتصورنا فقط "(11).

وأما الأخلاق العملية فقد أكد اسبينوزا على قيمة المشاركة ، حيث يجب أن يتعايش الناس مع بعضهم البعض في مجتمع متماسك متعاون، مجتمع لا يقوم على المصالح الشخصية الأنانية وإنما يقوم على العلاقات الإيثارية الغيرية، فالأشخاص الصالحين الأخيار يصبح اهتمامهم موجه نحو المصلحة المشتركة ومنفعة الجميع، لذلك تلغى فكرة الانتحار لأنه يجب أن نحافظ على بقائنا ونسعى للوصول إلى السعادة الكلية حين نساعد الآخرين(12).

رابعاً : غوتفريد ليبنتز(1646. 1716):

رأى ليبنتز أن الخير الأخلاقي يرتبط بتحقيق الفضيلة، والكمال الميتافيزيقي (13) ؛أي أن الخيرية هي الأساس الحقيقي للفضيلة، ويجب أن تحقق في الواقع.

والخير قد يكون معنوياً يتضمن تحقيق الفضيلة المتمثلة في العدل والحكمة ، وهو الخير الذاتي لا الموضوعي الموجود عند الرجل الحكيم، والخير الميتافيزيقي وهو الخير الموجود لدى الله صاحب الكمال اللانهائي، لذلك فمحبة الله ضرورية لأنها تجنبنا وتبعدنا عن الشر الميتافيزيقي المتمثل في الخطيئة والشر المادي المتمثل في الألم الناجم عن المتعة واللذة غير الشرعية، أي أن الألم أو المعاناة يقترن بإشباع الميول(14) ، وهذا الشر الموجود في العالم يمنع عنا السعادة، أي أن السعادة لا تتحقق بإشباع الرغبة أو الوفاء بها، كما أنها هي السرور الدائم والمعرفة بالله الذي هو الكمال اللانهائي، ويأتي الخير إلى العالم من وجود السعادة والفضيلة وهما شرطا حدوث الانسجام في الكون والصلاح الأخلاقي، وأيضا حينما لا نقوم بنكران الذات، أي أن نكران الذات ليس صوابا، بل يجب التوفيق بين حب الذات وحب الغير، أو بين الأنانية والإيثارية لكي تتحقق الفضيلة.(15)

خامساً : ديفيد هيوم(1711. 1776)

يري **ديفيد هيوم** أن الأخلاقيات في النهاية ترجع إلى الإحساس الأخلاقي لا إلى العقل و إدراكاته، فيؤكد عندما نمحص قوى العقل نجد أنه لا يمتلك القدرة على تحريك الإرادة،

---

(11) ول ديورانت : **قصة الحضارة** ، ترجمة : محمد بدران ، ج1 ، ط3، 1973،ص 218.

(12) محمد توفيق الضوي :**الفلسفة الحديثة في القرنين السابع عشر والثامن عشر**،ج1، دار الوفاء، شبين الكوم، ص ١٣

(13) G.W. Leibnize: New essays on human understanding, trans and edited by Peter Remmant and Gonathan Bennett, Cambridge university press, 1996, p. 526.

(14) G.W. Leibnize: Philosophical essays, trans by Roger Ariew and Daniel Garber, publishing company, 1989, p. 466.

(15) Brown Gregory: Leibniz's Moral philosophy, the Cambridge companion to Lebniz, edited by Nicholas Jollleg, Cambridge university press, 1955., p. 378.

إن ما يمتلك هذه القدرة هو الرغبات و ملكة الذّوق، فلو كان الإنسان مجهزاً بالعقل وحده فلن يكون لديه أيّ دافع لفعل أيّ شيء، فالعقل وحده قادر على أن يوصلنا إلى عالم الوقائع، إنه يقول لنا ما هو حاصل بالفعل أو ما سيحصل أو يحتمل، إنه يعني بما هو كائن و ليس بما يجب أن يكون، فلولا امتلاكنا لرغبات من نوع أو آخر، لما كنا نميل إلى فعل شيء بدل فعل شيء آخر، و لما كان لدينا مقاصد تحركنا في اتجاه بدلاً من اتجاه آخر، و باختصار لما كنا نمتلك أيّ غايات(16)، **و مادام كذلك** فإنه لا أساس عقلانيا ًللأحكام الخلقيّة، لأن العقل لا يقرّر الغايات كما يصرّ هيوم، و النتيجة التي لا مهرب من الوصول إليها هنا أن الحكم الخلقي لا يقوم على العقل.(17)

و الأخلاق عند هيوم ليست قابلة للبرهان و ليست مسألة من مسائل الواقع،فعندما تصف أيّ فعل أو أيّ سلوك بأنه رذيلة، فانك لا تعنى شيئا سوى أنه من تأليف طبيعتك، يكون لديك شعور أو عاطفة اللّوم، و لأن" هيوم "فيلسوف أخلاقي وصفي و ليس فيلسوفاً أخلاقياً معيارياً فهو يجد المفتاح لوصف و شرح الأحكام الأخلاقيّة التي يصنعها الناس بالفعل في الوقائع الأساسيّة للطبيعة البشريّة لا في محاولات متعاليّة للاهوت و لا في مقولات قبليّة(18).

ومن هنا فقد وجدت الباحثة أن كل نظرية أخلاقية لابد وأن يكون هدفها الأول هو تجنب القيام بالفعل الخاطئ من خلال تزويدنا بمعايير للفعل الخاطئ `واحترام الحقائق الأخلاقية وتعزيز عالم الفضيلة والسعادة والسعي وراء الفعل العقلي وتجنب أصل الشر في العالم وهو حب الذات وعلاجه وتأصيل مبدأ الإحسان والدفاع عن الأخلاق وتقديم معيار أخلاقي يدين الأفعال الخاطئة.

---

(16) David Hume; An Enquiry concerning the principles of morals,(oxford press, 1894,p 240.

(17)عادل ظاهر: **نقد الفلسفة الغربيّة الأخلاق و العقل**،ط1،دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1990 ،ص 20.

(18) محمد السيّد أحمد: **الأخلاق عند هيوم**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1992 ،ص 40.

المبحث الثاني

المؤثرات الاجتماعية والفكرية التي ساعدت علي تشكيل فكر كانط الأخلاقي

أولا :نشأته وأثرها في تشكيل فكره الاخلاقي

إن المؤرخين لحياة وفلسفة كانط ، لم يغفلوا أبدا ًالإشارة إلى تأثير التربية الدينية أو نزعة التقوية التي تلقاها في صغره ، في التأسيس لفلسفته الأخلاقية، فلقد كان لنزعة التقوية التي تربى على مبادئها في منزله أولا، ثم في المدرسة أو الجامعة ثانياً، الأثر البالغ في توجيه فلسفته الأخلاقية،و التقوية تستمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية، القائلة إن الإيمان يحرر المؤمن، وترى أن محل الدين الإرادة لا العقل، وتعلي من شأن القلب والحياة الباطنة، ومن ثم تقول إن الإيمان الحق هو الذي تؤيده الأعمال(19)

لذلك يؤكد **ليفي بريل** هذا المعني فيقول: " **إن كانط لا يستعين بالقوي النفسية غير العقلية في شيء ، بل يضع في العقل نفسه المبدأ الذي كان الفلاسفة الآخرون يفرقون بينه وبين العقل . فهو يريد أن يستنبط من العقل نفسه القانون الذي يخضع له . فهذا الأخير مشرِّع ومشرَّع له في آن واحد** .[20] ولقد أحسَنَ صُنعاً – برغم بعض النقص في طريقة تقديمه لنظريته – حين أكد أنه كشف عن مصدر الإلزام الأخلاقي في تلك الملَكة العليا في النفس الإنسانية .[21]

ثانياً:أثر الثورة العلمية في تشكيل فكر كانط الأخلاقي

ينجلي للمستقري في سجلات الفلسفة الحديثة، أن الفلسفة الألمانية– وبالأخص الفلسفة الكانطية –من أكثر الفلسفات تأثراً وتجاوباً مع الثورة العلمية ذلك لما أحدثته تلك الثورة من طفرة هائلة في مجال العلم الطبيعي الذي انعكس بدورة علي الفلاسفة والفكر الفلسفي الحديث قاطبة وهو ما **تؤكده الدكتورة يمني طريف الخولي بقولها** " لاشك أن الروح الدافقة للعلم الحديث الذي استقل وتنامى وتصاعد وتعاظم أمره قد انعكست في كل خلجة من خلجات الفلسفة الحديثة المواكبة زمانيا للعلم الحديث، من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، وحتى التيارات اللاعقلانية في الفلسفة الحديثة هذه التيارات المناهضة لروح العلم، لا تفُهم حق الفهم إلا كرد فعل لعملقة الروح العلمية.(22)

---

(19) يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوي ،2012، ص208

[20] ليفي بريل : **الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية** ، ترجمة محمود قاسم ، مراجعة السيد محمد بدوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1953 ، ص 115 . بتصرف .

[21] محمد عبد الله دراز : **دستور الأخلاق في القرآن** ، ط1، مؤسسة الرسالة ، 1998، ص 26 .

(22) يمنى طريف الخولي :**فلسفة العلم في القرن العشرين**، عالم المعرفة، الكويت، ص117

وأما **كانط** فلم يوصد عقله أمام تلك الثورة العلمية فأخذ يحاكي ما قام به **كوبرنيك** الذي خلص العلم الحديث من نظرية **بطليموس** التي افترضت أن الأرض ثابتة وأن الكواكب الأخرى تدور حولها، فرأى **كوبرنيك** أن اعتبار الأرض مركز الكواكب سيجعل حركة هذه الكواكب معقدة، و كلما ازداد الرصد دقة ازدادت حركتها تعقيداً، غير أن روح الطبيعة تكمن في البساطة.

لذلك نبذ "كانط" التصور الكلاسيكي لموضوعية الخير أو القيمة و فصلها عن الوجود (23)، كما و ضع نصب عينه صياغة نظرية أخلاقية عقلانية مختلفة تمام الاختلاف عن

المنظومات الأخلاقية التي روج لها غالبية الفلاسفة الفرنسيين و الانجليز في القرن الثامن عشر (24).

ورأي كانط بأن الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة، وأن الأشياء تدور حوله لكي تصير موضوع إدراك وعلم، ولا يدور هو حولها كما كان يعتقد من قبل، وهذه هي الثورة التي أحدثها كانط في عالم الفكر، وشبهها بالثورة التي أحدثها كوبرنيقوس في عالم القلك.(25)

وبهذا تستنتج الباحثه أن ما أراده كانط هو مناشدته بمركزية العقل الإنساني وثباته، وعلى الأشياء أن تدور هي من حوله.

و قد لعب **نيوتن** دوراً محورياً في تهيئة العقلية الكانطية عن علم الطبيعة الرياضي فلقد صار العلم عند نيوتن هو الفحص عن القوانين التي يستطاع التعبير عنها بلغة الرياضة، ولم يعد بحثا عن العلل والكائنات كما كان شأنه عند **ديكارت**، واتضحت ضرورة الاعتماد على التجربة واستحالة استخلاص القوانين الطبيعية من التصورات المجردة ، ولكن اتضح كذلك أن من الممكن الانتهاء إلى قوانين ضرورية تعين على التنبؤ بالظاهرات المستقبلة تنبؤا دقيقا،وذلك التباين بين" احتمالية "التجربة و"ضرورة" القوانين هو أحد الحوافز الكبرى التي ساقت كانط إلى التأمل وإعمال الفكر (26).كان العلم الطبيعي – حتى عصر

---

(23) صلاح قنصوه : **نظرية القيمة في الفكر المعاصر** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،1986 ،ص 13.

(24) على عبد الله الصغير : **مفهوم الأخلاق وخصوصيتها في النظرية الأخلاقية الكانطية** ،مجلة الطريق، العدد الأول ،دار الينابيع، دمشق، 1990 ،ص 110 .

(25) يوسف كرم :**تاريخ الفلسفة الحديثة**،مرجع سابق ص 21.

(26) عثمان أمين :**رواد المثالية في الفلسفة الغربية**،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1989، ص65.

كانط – قد أحرز تقدماً كبيراً ، خاصة علي يد **نيوتن Newton** (**) الذي اكتشف قانون الجاذبية ... وغيرها من القوانين الأخرى ، التي تفسر حركة الفلك بطريقة دقيقة ، وكان أساس هذا التفسير العلمي هو فكرة المطلق ، حيث قرر **نيوتن** أن الجسم يظل يسير في حركة مطْلَقة، إلا إذا أثرت فيه قوة أخرى ، ومن هنا بدأت هذه الفكرة عن المطلق تزداد قيمة، وتأثيراً في المذاهب الفلسفية التي بدأت تنتشر في ذلك العصر، والتي كان من بينها **مذهب كانط العقلي** .

ثالثا تأثير ليبنتز (1716/1646) في فكر كانط

تلقى كانط في شبابه خلال الدراسة الجامعية مذهب **ليبنتز** العقلي، ويرى أتباع هذا المذهب أن العمل الأخلاقي يؤسس على النظر العقلي، فالعقل أساس أول في ميدان الأخلاق، وفي هذا الميدان بالذات نجد مذهب ليبنتز يقرر أن المبدأ الأساسي للحياة الخلقية هو مبدأ الكمال القائم على فكرة الواجب،ولقد تحمس كانط في بداية حياته الفلسفية لهذا الموقف، وأخذ يدافع عنه في رسالة نشرها عام 1757 ، وأشار فيها إلى أنه على الرغم من أن التصور العقلي يسبق العمل، إلا أن هذا لا يقضي على حرية العمل أو الإرادة، وذلك لأننا نعتبر هذه الحرية هي قوة الفعل الذي يتم تنفيذه بناءاً على تصور الخير بطريقة واضحة، وأن الإرادة التي تقوم على إنجاز الفعل لا يمكن لها أن تنحرف عما يتفق مع طبيعتها، وأن وجهة الخير الأقوى ستنتصر حتما وستوجه إليه الإرادة وتفوز بالتنفيذ وهذا هو معنى الحرية في نظره(27)" ومن هنا استطاع من خلال أبحاثه أن يضع مبدأ الفصل بين التجربة والعقل، وبين المادة والشكل. وما لبث أن طبق هذا الفصل في مجال الأخلاق، وأدي به ذلك إلي إعلان نظريته المشهورة وهي: **أن مبادئنا الأخلاقية يجب ألاَّ تؤسَّس علي التجربة، أو العاطفة، بل تؤسَّس علي العقل الصِّرف**. الذي يُصدر بذاته أحكاماً ثابتة، وهذه الأحكام لا تُستنبَط من الأحكام السابقة، كما أنها لا تُستقرَأ من التجربة، ولكنها لا تنفصل عن طبيعة الذات العاقلة. هذا هو مُجمَل الطابع الشكلي للأخلاق عند كانط[28]

(**) (1643–1727) يتضمن مؤلف نيوتن الرئيسي " المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية " (1687) ثلاثة قوانين للحركة: (قانون القصور الذاتي، وقانون تناسب القوة والسرعة، وقانون تساوي الفعل ورد الفعل المضاد) وهي قوانين استنبطت منها نتائج كثيرة .

(27) محمد علي أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة**، ج4 ، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص271.

[28] السيد محمد بدوي : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ، دار المعرفة الجامعية ، 2000 ،ص ص 92 – 93 .

يقول كانط: " تبدأ كل معرفتنا مع التجربة، ولا ريب في ذلك البتة؛ لأن قدرتنا المعرفية لن تستيقظ إلي العمل، إن لم يتمَّ ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسّنا، .... لكن علي الرغم من أنّ كل معرفتنا تبدأ مع التجربة، فإنها مع ذلك لا تنبثق بأَسْرها من التجربة .[29]

وعلي حين استمد الكثير من فلاسفة الأخلاق ، مصدر الإلزام الخلقي من سلطة خارجية، كمذاهب: السعادة، أو اللذة، أو المنفعة[30]رفض كانط ردّ الواجب أو الإلزام الخلقي إلي هذه السلطة، فأنكر رأْي التجريبيين حين قالوا : إن عنصر القهر أو الضرورة – وهو ماهية الإلزام – نشأ عن ضغْط خارجي ؛ لأن الإنسان عرف واجبه في ظل نُظُم سياسية ودينية ، وسلطات اجتماعية اتفقت علي تهديده بالعقوبة[31]

وقد اتفق كل من **كانط وليبنتز** في أن عملية الاختيار النفسي هي التي تصبغ على فعل الإرادة طابع الحرية، ومن ثم ففي نظره ليست هناك جبرية نفسية، والواقع أن هذه الجبرية موجودة بالفعل، وذلك لأن تصور الأصلح سيكون ملزما للنفس، ضاغطا عليها، فلا يكون هناك أي مجال لحرية الإرادة في الاختيار، وعلى هذا تبقى الجبرية قائمة رغم دفاع كانط عن موقف ليبنتز، وتفسيره لهذا الموقف بأنه يقوم على حرية الإرادة(32).

وقد كان المزاج الفكري لكانط من مزاج ليبنتز أي مزاج المفكر الذي يعطي للتصورات المجردة الأولوية على معطيات الإدراك الحسي كسبيل لوضع مذهب فلسفي، وأنه حين كان يميل كانط إلى المزاج التجريبي كان يميل إليه رغم إرادته ،فقد تلقن كانط في الجامعة فلسفة ليبنتز وظل متحمسا لها سنوات كثيرة، وأخذ عن ليبنتز الكثير، لكن لا يعني ذلك أنه حين كان يميل إلى التجريبية كان مرغما، لأن الاتجاهات التجريبية كانت أصيلة فيه(33).

ويري **ليبنتز** أن هناك نوعان من الحقائق حقائق العقل، وحقائق الواقع ،حقائق العقل ضرورية وعكسها مستحيل، وحقائق الواقع عرضية وعكسها ممكن، فإذا كانت إحدى الحقائق ضرورية أمكن عن طريق التحليل أن نجد سببها، وذلك بتحليلها إلى أفكار وحقائق

---

[29] كانط : **نقد العقل المحض** ، ، ترجمة موسي وهبة، ط2 ، مركز الإنماء العربي ، بيروت ،1988 ، ص 45 .

[31] Julia , Annas ; **The Morality of Happiness** , Oxford: Oxford University Press , 1993 , P . 46 .

[31] توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،1959، ص ص 223 – 224 .

(32) إميل برهييه :**تاريخ الفلسفة**، ترجمة جورج طرابيشي ،ج5،ط6، دار الطليعة للطباعة والنشر ،1987، ص2.

(33) محمود زيدان:**كانط وفلسفته النظرية**، ط3،دار المعارف ،1979، ص 27.

أبسط، إلى أن نصل إلى الحقائق الأصلية، بهذه الطريقة يرد الرياضيون المبادئ النظرية والقواعد العملية بواسطة التحليل إلى تعريفات ومسلمات ومصادرات(34).

وبهذا فقد وجدت الباحثة من هذا التمييز عند ليبنتز أن المتأمل لفلسفة كانط النظرية والعملية يجد فيها أصداء عديدة من فلسفة ليبنتز، مثلا حقائق الواقع التجريبية الحادثة وحقائق العقل الأبدية الضرورية أو القضايا التحليلية والقضايا التركيبية أو مملكة الطبيعة ومملكة الغايات أو الاهتداء بالمناهج الرياضية والعلمية لأحكام المناهج الفلسفية وهذا كله انجلي بوضوح في فلسفة كانط.

رابعاً تأثير ديفيد هيوم (1776/1711)

لقد اعترف كانط أن هيوم هو الذي أيقظه من سباته الدوجماطيقي، ولعل أهمية هيوم بالنسبة لكانط تظهر منذ اللحظة الأولى التي يتحدث فيها كانط عن فكرة النقائض في كتابه" المقدمات لكل ميتافيزيقا مقبلة"، حيث يقول" :إن تناقض العقل المحض يفيد كعامل قوي جدا في إيقاظ الفلسفة من سباته الدوجماطيقي، وينبهها إلى العمل الشاق المنوط به في القيام بالامتحان النقدي

للعقل نفسه."(35)، وأشار **كانط** إلى أنه استغل تناقض العقل مع نفسه استغلالاً جيداً في تكوين الفلسفة النقدية، يقول" :إن تناقض العقل المحض هو أول شيء أيقظني من سباتي الدوجماطيقي وقادني إلى نقد العقل ذاته لكي أحل فضيحة التناقض الصوري للعقل مع ذاته.(36)

وقد أكد الدكتور الخشت أن منذ الوهلة الأولي التي تطلع فيها علي فلسفة كنط وهيوم ينجلي لك منذ البداية أنهما وجهان لعملة واحدة (37)، وينجلي التوازي الموجود بين مشروعي هيوم وكنط من خلال العناوين الرئيسية لأعمالهما، فقد اشتملت رسالة هيوم في الطبيعة البشرية على ثلاثة أبحاث أحدها، تناول فيه الفهم الإنساني، ثانيها تناول فيه العواطف، وثالثها تناول فيه الأخلاق، أما كانط فتتوزع فلسفته النقدية بين ثلاثة كتب تأتي مناظرة تماما لأعمال هيوم كالآتي :نقد العقل المحض،ونقد العقل العملي، ونقد ملكة

---

(34) جوتفريد فيلهم ليبنتز :**المونادولوجيا، ترجمة :عبد الغفار مكاوي**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1978 ، ص 75.

(35) محمد عثمان الخشت :**الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص73.

(36) محمد عثمان الخشت: **الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، المرجع السابق ،ص 63.

(37) محمد عثمان الخشت: **الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، المرجع السابق، ص154.

الحكم.(38)، **وعلي الرغم من تعاظم دور هيوم في فلسفة كانط الا أن الباحثه تري** إن نقد العقل وفحصه عند كانط تجاوز النقطة التي توقف عندها هيوم، ذلك أن فحصه النقدي للعقل المحض اشتمل على كل ميادين العقل النظري المحض وأيضا الميتافيزيقا،ولم يتوقف عند فكرة العلية كما فعل هيوم، ولقد كان هدف كانط من وراء هذا الموقف هو تصغير وتهميش دور هيوم في التمهيد لفلسفته النقدية رغم اعترافه الشخصي بذلك من جهة، وإثبات تميزه وتجاوزه لفلسفة هذا الفيلسوف الإنجليزي من جهة أخرى، وذلك ليثبت لناقديه في تلك الفترة بأنه لم يبق سجين الفلسفة الهيومية، لكن هذه المحاولة التي قام بها كانط لإثبات تجاوزه لهيوم لا يمكنها أبدا أن تنفي تأثره البالغ به.

وقد تأثر كانط بهيوم في فكرة **العلية**، هذه الفكرة التي أصبح ينظر إليها نظرة جديدة مغايرة ومختلفة عن نظرته السابقة إليها، أين ذلك أن هيوم قد أثار شكوكا كبيرة حول مبدأ العلية حسب كانط، لذا غير كانط موقفه فيقول "سنقوض هنا شك هيوم من أساسه، إنه أثبت بحق أنه لا يمكن أبدا أن ندرك بالعقل إمكان العلية، أي الاقتران بين وجود شيء ووجود شيء آخر يضعه الأول بالضرورة، وأضيف من جانبي أننا لا نفهم تصور تقوم الأشياء بصورة أوضح من فهمنا لتصور العلية، أعني أن فهمي لضرورة تقوم الأشياء بذات لا تكون محمولة على شيء آخر ليس بأوضح من فهمي للعلية؛ وفضلا عن ذلك فلا يمكن أن يكون عندنا تصور عن إمكان مثل هذا الشيء"(39).

لذلك أوضح كانط فيما بعد إن هيوم أيقظه من سباته الاعتقادي، وكان ذلك برأيه في مبدأ العلية بنوع خاص، إذ كان قد قال إن مبدأ العلية ليس قضية تحليلية أي أن المعلول ليس متضمنا في العلة، أو مرتبطا بها ارتباطا ضروريا، وأن الضرورة التي تبين له ما هي إلا وليدة عادة تتكون بتكرار التجربة(40).

وبهذا فانه **ينجلي للباحثه** أن تأثير هيوم على كانط كان شديدا نتيجة ما أثاره هيوم من نقد وشكوك حول مبادئ المذهب العقلاني الذي نشأ فيه كانط ، فلم يكن كانط تلميذا لهيوم ولم يكن ينتمي إلى مدرسته النقدية الشكاكة، وبالرغم من ذلك أخذ كانط عن هيوم فكرته النقدية ،وذلك لأن كانط كان يعتقد أن العلية ليست مجرد عادة تقوم على التكرار ، بل هي معنى

---

(38) محمد عثمان الخشت: **الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**، المرجع السابق ،ص52.

(39) إمانويل كانط :**مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، ترجمة :نازلي إسماعيل حسين ومحمد فتحي الشنيطي**، تقديم عمر مهيل، موفم للنشر، الجزائر،1991،ص 73.

(40) إمانويل كانط :**مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما** ، المصدر السابق ،ص 174.

أولي يربط عن طريق تلك الظواهر الطبيعية المتعاقبة باطراد علي في الطبيعة برابطة ضرورية حتمية،كما يعتقد بأن العلية مجرد عادة أمر غير مقبول لأنه يهدم العلم والأخلاق معا.

خامساً:تأثير جان جاك روسو(1778/1712)

يعتبر **جان جاك روسو** من الفلاسفة المهمين لأنه القوة المحركة للأخلاق الكانطيةفي الفلسفة الحديثة،فهو الدعامة الأولى التي جعلته يرتقي بفكره، ويتبين أن روسو أرشده وعلمه كيف يخطوا خطاً صحيحه في الحياة الأخلاقية، وكيفية التغلب والابتعاد عن الأشياء التي لا معنى ولا فائدة منها؛ و كانط يرى أن روسو له الفضل في تصحيحه للمفاهيم حول إعادة المكانة والقيمة للحياة الإنسانية ,وأن لهذا الإنسان منصبه وكرامته.(41)

وفي نفس السياق نجد **السيد محمد بدوي** "، في كتابه " الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع" يرى أن كانط مدان لروسو في إرجاع الإنسان لإحترامه ومكانته التي يتمتع بها ، لا من أجل فطنته ودهائه وإنما كذلك لطيبته ورقته الأخلاقية التي تغرس فيه الروح المتعالية حيث إنه يدين له على الخصوص بتلك الفكرة التي تقول إن قيمة الإنسان ليست في وضوح ذكائه فحسب بل أيضا نبل عاطفته وعمق شعوره الروحي ، وقد بني على هذه الفكرة مبدأ لم يفارقه طوال حياته هو مبدأ الكرامة الإنسانية واعتزاز المرء بشخصيته كإنسان (42) .

وقد أعجب كانط بكتب روسو كثيرا ، فصحح وصوب فكره المغلوط وأعاد له النظر بحيث أعطى للإنسانية سموها وأدرك قيمتها ، فهو ينادي بعد إدراكه خطأه إلى ضرورة العودة لما هو قبلي وإلغاء التعالي الزائد ليكون أخلاقاً مثالية لا يشوبها أي زيف حيث يشير كانط إلى الرجوع للطبيعة أي للفطرة خالصة مما غشاها به المجتمع من عرف وتقليد، فالعلم أكبر عنوان للمجد والغاية القصوى للإنسانية، حتى أحتقر الشعب الجاهل، فرفع روسو الغشاوة على بصيرته وعلمه أن حال الطبيعة أسمى من حال المدينة وأن التربية يجب أن تكون سلبية في الأكثر، فتقتصر على ضمان حرية الميول الطبيعية، وتنبذ إكراه العرف المصطنع(43).

ولقد **اعترف كانط** بأنه استوحى هذه الفكرة من روسو، فقال"لقد كنت بطبعي باحثا عن الحقيقة، إنني أشعر بظمأ مستمر دائم للمعرفة، وإحساس قلق للتقدم فيها، ولقد اعتقدت أن

---

(41) ايمانويل كانط: **نقد العقل العملي**، ترجمة غانم هنا،ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008،ص ص 13 – 14

(42) السيد محمد بدوي : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ، مرجع سابق ، ص 62.

(43) يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، مرجع سابق ،ص 211 .

هذا يمكن أن يؤلف شرف الإنسانية، واحتقرت الإنسان العادي الذي لا يعرف، فردني روسو إلى الصواب فاختفى هذا الهوى الأعمى وتعلمت احترام الطبيعة البشرية(44).

هذا يعني أن روسو أثر في كانط بشكل إيجابي ، خاصة في تجاهل هذا الأخير للناس العاديين البسطاء واهتمامه بأصحاب العلم فهو رسم له الطريق الصحيح في بناء أخلاق وتربية ،فروسو أنار للعقل الكانطي إكتشافه الحقيقة البسيطة التي تضيء الطبيعة الإنسانية إلى أعماقها وهي الخلقية الصافية(45) .

هذا يوضح أن **لروسو** الفضل في إظهار المعرفة الأخلاقية الخالية من الزوائد التي لا معنى لها ، كما تأثر كانط بأفكار روسو الأخلاقية وكان تأثرا بينا باعترافه الشخصي، وبالتالي فقد شكلت مصدرا أساسيا لتأسيس الفلسفة الكانطية،فإن كانط استفاد كثيرا من روسو، وأعطى لأعمال روسو تأويل لا يمكن إهماله، وإذا كان روسو قد أيقظ كانط ورفع الغشاوة عن بصيرته، فإن كانط قد أتم مشروع روسو الفلسفي(46).

مما سبق عرضه فأنه ينجلي **للباحثة** أن فيلسوف الأخلاق ايمانويل كانط كان بمثابة ملتقي فكري لمفكرين سابقين له تأثر بهم، ولكنه لم يقبل أفكارهم كما هي بل أخضعهم كلهم لمنهجه النقدي ولرؤية عقلية تحليلية فقبل من آرائهم ما قبل وعارض منها ما لم يقبله عقله النقدي.

المبحث الثالث

الأخلاق عند كانط

تمهيد:

يمكن النظر إلي آراء **كانط** من ناحيتين :

الأولي: من ناحية ارتباطها بالفيلسوف نفسه، وحينئذ يتتبع **الباحث** نمو أفكاره، وتأثرها بالبيئة التي عاش فيها، وبالمؤثرات التي تأثر بها، كما يهتم بجميع المسائل التي شغلته ، بغض النظر عن درجة أهميتها الحقيقية، معتبراً أنها تستحق الاهتمام ، لمجرد أنها شغلت جزءاً من تفكيره وتأملاته في وقت من الأوقات. فحياة الفلاسفة ليست إلاّ حياة أفكارهم.

---

(44) محمد عثمان الخشت :**فلسفة الدين في ضوء تأويل جديد للنقدية الكناطية**،ط2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 2012، ص100.

(45)محمد عثمان الخشت : **فلسفة الدين في ضوء تأويل جديد للنقدية الكناطية** ، المرجع السابق، ص100

(46) يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مرجع سابق ، ص221.

والثانية : من ناحية صلة هذه الآراء بالإنسانية ، أي الأثر الذي تركته كمذهب من المذاهب، ولذا يحاول **الباحث** بيان إلي أي مدي كان الإلزام الخلقي عند كانط هدماً لمذاهب السابقين عليه ، وإلي أي مدي اتُّخِذ نقطة بدء لمذاهب أخري جديدة .

"يشير كثير من الباحثين إلى أهمية مذهب وفلسفة كانط النقدية، الذي يُعَد لدَى بعضهم أشهَر مذهب أخلاقي في الفلسفة الحديثة .(*) وبسبب تلك الأهمية قيل عنه : إنه يشطر الفلسفة الأخلاقية قسمين ، كما هو الحال بالنسبة لسقراط . كما قيل عنه – أيضاً: إن أفكاره حول القيم والمعرفة ، أثرت تأثيراً عميقاً – بطريق مباشر أو غير مباشر – في الفلسفة منذ أن قال بها حتى الآن، حتى أنه لم ينجُ من التأثر بها إلا قلة قليلة. كذلك قيل: إن عالَم الفلسفة لم يأخذ في التحرر من نفوذه إلاّ منذ عهد قريب [47] ولأهمية فلسفته ظهرت العديد من الدراسات الغربية، التي تتناول أفكاره، التي أصبحت بعده مَعيناً لا ينضب، تُستَقَي منه الأفكار[48]

ويعتبر المشروع الأخلاقي للفيلسوف الألماني ايمانويل كانط من أهم المشاريع الأخلاقية في الفلسفة الحديثة، فقد ألف كانط في هذا المجال ثلاثة كتب أساسية هي: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ونقد العقل العملي، وميتافيزيقا الأخلاق، ويُعدُّ كانط واحداً من أبرز فلاسفة العصر الحديث، بل مضى البعض إلى اعتباره أعظم فلاسفة عصره ، فقد عمل على التّصالح بين العلم والدّين بطريقة تبدو فريدة من نوعها ولم يجارية فيها من **وجهة نظر الباحثة** أحداً قبله، أسّس المثاليّة" النّقديّة أو " المتعالية"، واتّسمت فلسفته الأخلاقيّة بالمثاليّة .

ويمكن أن نعد كانط" فيلسوفا ثوريا مجدداً،فقد رفض أن يؤسس القيم الأخلاقية على إمكانات أخرى غير الإرادة الخيرة، كما رفض أن يؤسس القيم الأخلاقية على الدين والميتافيزيقا بل العكس هو الصحيح، فأسس الدين و الميتافيزيقا على الأخلاق، فبخلاف الفكر الأخلاقي ما قبل كانط، الذي استخلص المفاهيم الأخلاقية من ما هو ميتافيزيقي يضفى "كانط" على المسألة مسحة مختلفة جوهريا، زاعما أن الميتافيزيقا والدين يمكن ويجب أن يرتكزا على الأخلاق.

(*) ومن هذه الدراسات :

– جيل دولوز : **فلسفة كانط النقدية** ، تعريب أسامة الحاج ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997.

1–[47]عبد الحميد عبد المنعم مدكور : **دراسات في علم الأخلاق** ، مكتبة الشباب للنشر والتوزيع، 1990 ، ص 164 .

[48] Kemp . John , The Philosophy of Kant , London : Oxford University Press , 1968 .

- Watson . John , The Philosophy of Kant Explained .. New York : Garland Publishing Co. , 1976

لقد تناول كانط الأخلاق من منطلق وسيلة لاحترام القيم الإنسانية، فالإنسان يعتبرموجوداً أخلاقياً، أنه كائن عاقل يملك من العقل والإرادة ما يستطيع معه تجاوز مستوى الغريزة إلى مستوى السلوك الأخلاقي الحر، فالإنسان حيوان أخلاقي لأنه كائن حر،وعليه فإنه يؤمن بالأخلاق المطلقة الثابتة، ومما لا مراء فيه فإن الباحثه تؤكد بأن كانط هو فيلسوفا أخلاقيا من طراز فريد من نوعه ترك إرثا فلسفياً أخلاقيا هو بمثابة نبع فياض من القيم الأخلاقية الخالدة مهما طال الزمان .

اعتبر كانط الأخلاق أهم جزء في الفلسفة ، كما جعل لها وللدين الأهمية القصوي . فاتجه في ذلك اتجاهاً متأثراً بجان جاك روسو Rousseau (*) خاصة الفكرة التي تقول : إن قيمة الإنسان ليست في وضوح ذكائه فحسب ، بل – أيضاً – في نُبْل عاطفته ، وعمق شعوره الروحي . وقد بَنَي علي هذه الفكرة مبدأ لم يفارقه طوال حياته ، هو مبدأ الكرامة الإنسانية ، واعتزاز المرء بشخصيته كإنسان[49] ومع ذلك فقد كان يراوده شعور بأن العاطفة – وحدها – لا تكفي كقاعدة للأخلاق[50] لذا أَبعَد كانط من مجال الأخلاق : العواطف النبيلة ، والتعاطف الوجداني الخالص ؛ لأن الأحكام الخلقية ستكون حينئذ نسبية متغيرة ، بسبب سرعة تغيُّر المشاعر الوجدانية ، وتقلُّبها .

وإنما يجب تأسيس الأخلاق علي مبادئ العقل المطلَق ، والتي تتمثل في فكرة الواجب Duty[51] ولأن الأخلاق الحقيقية يجب أن تؤسَّس علي ما يميز الإنسان عن الحيوان وهو العقل . وهكذا تحولت الأخلاق عنده إلي مبادئ صورية ، بعيدة عن عالم الواقع[52] ولذلك " يُضْفِي كانط علي مبدئه في الواجب كل قدسية واحترام[53] وهما عاطفتان نبيلتان ، وهنا يظهر أنه إذا استعمل العواطف ، فإنما يستعملها في مجالها الصحيح . وهذا هو تقدير

(*) (1712 – 1778)

[49] السيد محمد بدوي : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع** ، مرجع سابق ، ص ص 90 – 91 . **وكذلك** :

– حسن حنفي حسنين : **قضايا معاصرة ؛ في الفكر الغربي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 164 .

[50] توفيق الطويل : **العقليون والتجريبيون في فلسفة الأخلاق** ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1952 ، ص 55.

[51] Lawrence . M . Hinman :**Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory** , New York , 1994 , P . 197 . and also :

- Wolff , Robert Paul ; **Kant's Theory of Mental Activity** . Cambridge , Massachusetts Harvard University Press , 1963.

- Aune , B :**Kant's Theory of Morals** .Princeton , N . J . Princeton University Press, 1979 .

[52] سامية عبد الرحمن عبد السلام : **القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر**، مكتبة النهضة المصرية ،1992 ، ص 96 .

[53] يُعرِّف سيد جويك الواجب بقوله : الواجب هو الفعل الصحيح الذي يتطلبه علي الأقل أحد الدوافع الأخلاقية

الواجب واحترامه ، ويعتبرها في هذا المقام ناشئة عن العقل ، لا عن ميْل غير بصير ، إنها عاطفة أو ميل من حيث هي شعور لدي الإنسان ، بأن القانون الأخلاقي يصدر عن إرادته ورغبته ، وشعوره في نفس الوقت بخضوعه للقانون الذي يفرضه علي نفسه[54]

غير أن ذلك لا يمنع من إشادة العديد من الفلاسفة بأهمية مذهبه الأخلاقي، فيذهب إميل بوترو موضحاً ما لِدراسة الأخلاق الكانطية من فائدة في الوقت الحاضر، فيقول : "إن نظرياته الأخلاقية متصلة اتصالاً مباشراً بمشاغلنا الراهنة، فمن المحقق أن أخلاق الواجب، وأخلاق الالتزام، علي اتفاق تام مع الفكرة التي تزداد بزوغاً، فكرة أن علينا دَيْناً ليس فقط نحو أنفسنا ، ونحو سعادتنا الفردية، بل كذلك نحو الناس، ونحو الوطن، ونحو الإنسانية بأَسْرها[55]

لقد ذهب العديد من الباحثين – بعد دراسة الطبيعة العقلية عند كانط – إلي إضفاء المسحة الإسلامية علي آرائه وأفكاره ، يقول **الدكتور محمد عبد الله دراز** : "إذا ما ردَدنا نظرية كانط إلي أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ، ونزعة التسامي ، ونقيناها – أيضاً – من نزعة التشاؤم ، التي اتسمت بها ، ومن بعض ما شَابَها من البرود العاطفي – فهي بعد هذا – لا تُعَد من المُسَلَّمات فحسب ، بل إنها لتتفق تماماً مع النظرية المستخلَصة من القرآن الكريم[56]

ويقول **الدكتور حسن الشرقاوي** : "وكأننا في أخلاقيات كانط أمام مُوحِّد وَصَلَ إلي معرفة الله بعد رحلة طويلة ، وجهد شاق، أَتعَبَ فيها عقله ونفسه، ثم لمَّا شَّعُرَ بعجزه ، استسلم لله ، واسترسل معه تعالي ... ولم يَنقُصه شيء، إلاّ أن يعلن في وضوح : **لا إله إلاّ الله، مُحَمَّدٌ رسول الله** . "[57]

ومما سبق تري **الباحثة** أن كانط قد أَحَلَّ الواجب مكان الخير ، وردَّه إلي العقل وحده ، وهاجم مذاهب التجريبيين والحدسيين؛ لأنهم أقاموا المعايير الأخلاقية علي الحدس أو العواطف الخلقية ، وكلتاهما نسبية متغيرة ، يُمْتَنَعُ معها إقامة قانون كلي ضروري ، وهو الذي تتطلبه فلسفة الأخلاق. وتطلَّع – بعد رفْضِه لهذه المذاهب– إلي إقامة مذهب عقلي في الواجب ، فرأي أنه لا يستقيم إلاّ متي توافرت إرادةٌ حرة ، ولا يتحقق القانون الكلي العام

---

[54] محمد عبد الستار نصار : **دراسات في فلسفة الأخلاق** ، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،1982 ، ص 127 . الهيئةالمصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1972.

[55] إميل بوترو : **فلسفة كانط** ، ترجمة عثمان أمين ، الهيئةالمصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1972، ص 296

[56] محمد عبد الله دراز : **دستور الأخلاق في القرآن** ، مرجع سابق ، ص ص 26 – 27 .

[57] حسن الشرقاوي : **الأخلاق الإسلامية** ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ،1998 ، ص 309 .

في الأخلاق، إلاّ متي صدر عن العقل وحده ، ولا يستقيم علي هذا النحو إلاّ متي كانت الإنسانية كلها غايته ، ومن ثم شرع يفسر ما يريده بالإرادة ، فرأَي أن الناس علي اتفاق في أن الإرادة الخيرة قمة السمو، وتاج الكمال الخلقي. يقول كانط : "**لما كان العقل في أساسه سلطة عملية، تمارس نفوذاً وتأثيراً علي الإرادة ، فإن وظيفة ذلك العقل الحقيقية ، يجب أن تكمن في إنتاج وتوليد الإرادة الخيرة ، ليس وسيلة لبعض الأهداف الأخرى ، وإنما هدف في ذاتها** [58]

أولاً :الإرادة الخيرة(59)عند كانط

لقد بني كانط فلسفته الأخلاقية على مبدأ الإرادة الخيرة والتي اعتبرها الشرط الضروري والمعيار المحدد ، لأخلاقية الفعل من عدمها، وتعتبر الإرادة الخيرة في نظر كانط الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره خيراً في ذاته، أما عدا ذلك، فلا يمكن اعتباره كذلك فيقول" من بين الأمور التي يمكن عدها في هذا العالم أو خارجه ، لا يوجد شيء يمكن عده خيراً على وجه الإطلاق و دون قيد ، اللهم إلا شيء واحد هو الإرادة

وقد أولي كانط للإرادة الطيبة أهمية بالغه حيث جعل القانون الأخلاقي يستمد وجوده من إرادة الفاعل، كمصدر للتشريع الأخلاقي أو ما سماه كانط لإرادة الطيبة أو النية ، وبالتالي الإرادة هي النية الأخلاقية التي على ضوئها تتحدد القيمة الأخلاقية للفعل، فليست مادة الفعل الأخلاقي فيما نفعله، بل في النية التي تحدد هذا الفعل، وتتميز هذه الإرادة بالاستقلالية، فهي غير خاضعة لأية دوافع خارجية كالمصلحة أو المنفعة، وإنما مصدرها إلزام ذاتي داخلي، يوجب علينا القيام بالفعل بطريقة مستقلة، ولذلك اعتبرت المبدأ الوحيد والجدير بأن يكون أساس الفعل الأخلاقي، وهذا يعني أن كل الغايات والمقاصد والأهداف يتوقف استعمالها على الإرادة فهو يري،أن بعض الأفعال يجب أن تعتبر أوامر إلهية، لأنها ملزمة لنا إلزاما داخليا، ولا ينبغي أن ينظر إليها على أنها ملزمة لنا لأنها أوامر إلهية(60).

---

[58] كانط : **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، ط 2 ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، مراجعة عبد الرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980، ص 15 .

(59) الارادة **الخيرة هي التي تعمل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار آخر، ولهذا فهي الشرط الضروري والكافي للحياة الخلقية .**

مراد وهبة :**المذهب عند كانط، ترجمة نظمي لوقا**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1979،ص 87.

(60)عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية ، **مرجع سابق**، ص 12.

هنا تجد الباحثة أن ما كان ينشده كانط بقولة هذا هو إضفاء صفة الإلزام للإرادة الطيبة كي يحميها من مخاطر الانتهاك ، فالإلزام الذي تفرضه الإرادة من تلقاء نفسها ، لا يقل أهمية عن اللزوم الذي يتخذه طابع الإجبار في القوانين الوضعية والدينية ، ذلك أن هذه الأفعال تعتبر بمثابة أوامر إلهية ، لأنها ملزمة لنا إلزام داخلي، وهذا الإلزام هو إرادة العمل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار للمصلحة أو المنفعة، وهذه الأفعال هي الأفعال الأخلاقية الصادرة عن كياننا الداخلي، ومنه إن مقياس الإرادة الخيرة في نظر كانط، ليس ما تحققه من نجاحات أو منافع أو مقاصد آنية ، فهذه أمور لا تدخل أبدا في تحديد الإرادة الخيرة، مثلما يتوهم كثير من الناس،إنما أساسها هو فعل الإرادة ذاته.

فالإرادة هي غاية في ذاتها وليست مجرد وسيلة، وهذا ما **يؤكده كانط بقوله**:"بعث إرادة خيرة فينا لا تكون وسيلة لتحقيق غاية من الغايات بل تكون إرادة خيرة في ذاتها(61)،ولقد اعتبر كانط العقل بأنه المنبع الحقيقي للإرادة فهو يري أن من واجبات ميتافيزيقا الأخلاق أن تتناول بالبحث فكرة ومبادئ إرادة خالصة ممكنة، لا أن تتناول أفعال وشروط فعل الإرادة الإنسانية بوجه عام انهم لا يميزون الدوافع التي لا يمكن تصورها إلا عن طريق العقل وبطريقة قبلية بحتة، وهي الدوافع الأخلاقية حقا(62).

" من بين الأمور التي يمكن تصورها في هذا العالم ، أو خارجه، أنه لا يوجد شيء يمكن عده خيراً علي وجه الإطلاق ودون قيد ، اللهم إلا شيئاً واحداً هو: الإرادة الخيرة . "[63]

بهذه الجملة الرائعة بدأ كانط كتابه " تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. "وهو يقصد منها أن الإرادة الخيِّرة، هي وحدها التي يمكن أن تعدّ خيراً في ذاتها، أو خيراً مطلقاً، أو خيراً غير مشروط . يقول **الدكتور عبد الرحمن بدوي** موضحاً مقولة كانط: " إن الإرادة الخيرة يجب أن تكون خيّرة في كل الظروف ، ومهما كانت الأحوال. فينبغي أن تكون كذلك دائماً . بمعني أنها لا تكون خيرة في ظرف، وغير خيّرة في ظرف آخر ؛ ولا تكون خيّرة كوسيلة لغاية ، ولا شريرة كوسيلة لغاية أخري . وبالجملة فإن خيرها لا يتوقف علي أي شرط ، أو ظرف ، أو رغبة ، أو غاية . فهي إذن خير مطلق وغير مشروط أبداً ؛ خير في ذاتها ، لا بالنسبة إلي أي شيء آخر "[64]

---

(61) إمانويل كانط :**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مصدر سابق** ،ص 21.

(62) ايمانويل كانط : **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، المصدر السابق ،ص 11

[63] إيمانويل كانط : **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، المصدر السابق ، ص 17 .

[64] عبد الرحمن بدوي : **الأخلاق عند كانط** ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1979 ،ص 41 .

وتتساءل الباحثة ماذا لو لم تتوافر الإرادة الخيرة في أي عمل ؟

في حالة إذا انعدمت الإرادة الخيرة من أي عمل أخلاقي، فإنه يصبح عندئذ عديم الصبغة الأخلاقية، نجد أن هذه الإرادة إذا لم تنجح في تحقيق ما تريد تظل تسطع كجوهرة ثمينة لها قيمتها في ذاتها ومعنى هذا أن ما يكون جوهر الإرادة الخيرة ليس إنتاجها أو نجاحها، أو سهولة بلوغها الغرض المنشود، وإنما هو النية الطيبة(65).

والحديث عن الإرادة الخيرة يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الواجب لأن ما يخلع على الإرادة الخيرة بصفة الخير ليس هو النتائج الخيرة التي تترتب عليها بل هو الطابع الإلزامي الذي يتسم به فعلنا حين يجيء مطابقا للقانون الأخلاقي، والإرادة الخيرة حسب كانط هي إرادة العمل بمقتضى الواجب، أي الواجب وحده دون اعتبار لمصلحتنا أو أنانيتنا، فهي مستقلة استقلالا تاما، وتستمد ناموسها من ذاتها وحريتها من داخلها، فهي التي تعمل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار آخر(66).

" ويمكن تحقيق هذه الإرادة الخيرة – **عند كانط**– عن طريق العقل، الذي ليس وجوده في الإنسان بقصد تحقيق المتعة أو السعادة ، وإنما الهدف الحقيقى له، ينبغى أن يتجه إلى بعث إرادة خيَّرة فينا. وإذا أفلح العقل في تحقيق هذه الغاية ، فإنه يحس بنوع من الرضا الذي يناسب طبيعته ، وإن ارتبط ذلك بشيء من الضرر الذي يلحق بالنوازع النفسية للإنسان

رأي كانط: أن تحليل مفهوم الإرادة الخيِّرة ، يرتَدُّ بنا إلي مبدأ أساسي واحد، هو الواجب الذي تنبع منه كل الأفعال الأخلاقية للإنسان العاقل، صاحب الإرادة. أما الأفعال العفْوية التي تصدر عن الإنسان بدون إرادته، فإنها لا تَحمِل أي قيم أخلاقية، حتى لو حققت – مُصَادَفَةَ – بعض الأعمال الخيِّرة .

ثانياً: الواجب الأخلاقي عند كانط

" يربط كانط بين الإرادة الخيِّرة وبين فكرة أخري هامة وهي فكرة الواجب، هذا الواجب يعد بمثابة صمام الأمن، أو القانون الذي تخضع له الإرادة الخيِّرة، أو هو ما ينظمها . ومن ثم يمكن القول : إن الأفعال الإنسانية تكون خيِّرة ؛ لأنها صدرت من أجل الواجب[67] يقول

---

(65) محمد مهران رشوان :**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق،ص 158.

(66) مصطفى عبده :**فلسفة الأخلاق**، ط 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 ، ص63.

[67] مابوت : **مقدمة في الأخلاق** ، ترجمة الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985 ، ص 21 .

كانط: **"شيئان يملآن الوجدان بالإعجاب والإجلال ، يتجدَّدان ويزدادان علي الدوام، كلما أمعن الفكر التأمل فيهما : السماء ذات النجوم من فوقي والقانون الأخلاقي في صدري .**[68] فالفعل الأخلاقي هو الفعل الذي يصدر عن الواجب، ولا يتطابق معه قانون معين، وهذا الدافع هو الواجب[69]

الواجب عرفه بعض الأخلاقيين بأنه العمل الأخلاقي الذي يبعث على الإتيان به الضمير(70) ،فهو يتعلق بما يصدر عن الذات المدركة و إنه بوجه عام ما ينبغي عمله(71) ،والواجب بوجه خاص فعل لقانون كلي من غير أن يلتمس أي جانب من جوانب الرفض من طرف العقل ، وهذا ما نجده لدى كانط في تعريفه له حيث يعتبره **كانط** بأنه كل سلوك يمكن أن يصاغ قاعدة عامة بدون أن يكون عرضة لنقد العقل أو تسخيفه له (72)،ويعتبر كانط الواجب" إنه أمر جازم يحملنا على طاعته احتراما له دون اعتبار لمنفعة أو لذة.(73)

فمن منظور كانط الواجب شيء ضروري كلي لأنه نابع من إرادة طيبة ، وهو أيضا عند كانط ما يقرر وفقا لقاعدة، والقاعدة هي المبدأ الذاتي، فكل ما في الطبيعة يعمل وفقا لقوانين ، والكائن العاقل الإنسان هو وحده الذي لديه القدرة على الفعل ؛ أي وفقا لمبادئ تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق(74).

والواجب هو القانون الأخلاقي عندما يكون خالص غير مختلط بأي إضافات أجنبية أو مؤثرات حسية ، فهو نقول عنه واجب لأنه يتصف بالأصالة ومحفوظ من أي زيف خارجي فالأخلاق بحسب كانط ، هي ضرورة القيام بفعل احترام القانون ، وعليه نقول أن الواجب الأخلاقي هو ما يتصف به ليكون فعلاً أخلاقياً ويستبعد كل ما يتعارض مع الواجب ،والواجب الأخلاقي هو ما ينص عليه القانون الكلي العام من واجبات نحو

---

[68] كانط : **نقد العقل العملي** ، ط 1 ، ترجمة أحمد الشيباني ، دار اليقظة العربية ، بيروت ،1966، ص 286 .

[69] Gardner , Sebastian , Kant , in : philosophy 2 further though Subject . Edited A . C . Gvoyling oxford University Press , London , 1998 , P . 619 .

(70) أحمد أمين : **الأخلاق** ، دار الكتاب المصرية ، ط 3 ، القاهرة ، 1931 ، ص 91.

(71) إبراهيم مدكور : **المعجم الفلسفي** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،1983 ، ص 309.

(72) السيد محمد بدوي : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الإجتماع** ، مرجع سابق ، ص 79.

(73) إبراهيم مدكور : **المعجم الفلسفي** ، مرجع سابق ، ص 209.

(74) حيرش بغداد محمد :**الخطاب المثالي في الفلسفة ألمانية** ، ط 1، ابن النديم للتشر، دار الروافد الثقافية، 2015، ص229.

ذاتي ونحو الآخرين (75). ويتصف الواجب بأنه مثالي مطلق ، وبعيد كل البعد عن الواقع الحسي الملموس، فهو صادر من العقل الإنساني البحت، معنى ذلك أنه لا يحتمل أي تغيير لأنه يكتسي طابع مطلقيه العقل المتعالي ، حيث أن هذا الواجب صوري محض أي أنه لا يقتضي أي حس تجريبي(76).

والواجب عند **كانط** لأجل ذاته لا ينتظر أي غاية أو منفعة ولا مصلحة من ورائه أو تحقيق سعادة فأنا مثلا لا أقوم بفعل السرقة فإنه من واجبي القيام بهذا الفعل احتراما وإطاعة للقانون الذي وضعته لنفسي ولا أنتظر من هذا الفعل أي مقابل ولا شكر أو مصلحة ، فالواجب هنا حسب **كانط** منزه عن أي غرض ،و لا يقوم على أي شيء آخر ما دام هو الركيزة الذي يستند إليه كل عمل أخلاقي لذلك ينص أنه " قاعدة لا مشروطة للفعل الأخلاقي (77).

إن كانط يريد للواجب أن يكون غاية سامية تتبناها كل العقول، والواجب الأخلاقي إلزام نفرضه على أنفسنا، وهو في النهاية يعبر عن دلالة أساسية مفادها أننا نؤدي الواجب لأننا نريد من أعماق أنفسنا، وبالتالي إنه منزه عن كل غرض، بمعنى أنه لا يطلب من أجل تحقيق المنفعة أو بلوغ السعادة بل هو يطلب لذاته، فليست الأخلاق هي التي تعلمنا كيف نكون سعداء بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة(78).

والواجب الكانطي قاعدة لا مشروطة للفعل، بمعنى أنه قانون سابق على كل تصور تجريبي فهو حكم أولي تأليفي يمثل الواقعة الوحيدة للعقل العملي المحض، فهو كلي وضروري وغير مشروط(79)، بمعنى أنه لا يقوم على أي شيء آخر، أو يمكن إرجاعه إلى أي شيء آخر، ما دام هو الدعامة التي يستند إليها كل حكم أخلاقي، فالإنسان لا يكون فاضلا لأنه يحاول إشباع رغباته أو سعادته، وإن كان عليه أن يفعل ذلك.(80)

ويؤكد كانط أن احترام القانون الأخلاقي وأداء الفعل بدافع منه، هو الشيء الوحيد الذي يعطي لأفعالنا قيمة خلقية، وعلى هذا يقوم الفرق بين الوعي بأننا قمنا بفعل وفقا

---

75) (E. Kant : Fondaments de la Metaphysique des Mæurs , p25.

(76) زكريا إبراهيم : **مشكلات فلسفية المشكلة الخلقية** ، ج 6، ط 1 ، دار مصر للطباعة ، مصر ، 1969 ، ص 170.

(77) زكريا ابراهيم: **مشكلات فلسفية المشكلة الخلقية ، المرجع السابق**، ص171.

(78) مصطفى عبده :**فلسفة الأخلاق**، مرجع سابق، ص65.

(79) مصطفى عبده :فلسفة الأخلاق، المرجع السابق ، ص 66.

(80) محمد مهران رشوان :**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق،ص 162.

للواجب وبدافع من الواجب، وبفعل بدافع احترام للقانون لهذا يميز كانط بين ثلاثة أنواع من الأفعال:أفعال لا تتفق مع الواجب وأنجزت بدافع تجريبي ذاتي،و أفعال متسقة ظاهريا مع الواجب، لكنها أنجزت بدافع الميل، أفعال متسقة مع الواجب، وأنجزت بدافع من الواجب أي بدافع احترام القانون الأخلاقي(81)، النوع الأخير هو الذي نصفه" بالأخلاقية"، حيث أنه يكون للفعل قيمة أخلاقية عندما يكون ليس مطابقا للواجب فقط بل نابعا منه، فهذا الفعل هو الفعل الأخلاقي لأنه تم بمقتضى الواجب، فالفعل لا تكون له قيمة أخلاقية إذا لم يكن نابعا من الواجب أو أنجز بدافع من الواجب أي بدافع احترام القانون الأخلاقي.

ثالثاً:القانون الأخلاقي واحترامه عند كانط

يوجد القانون الأخلاقي في الكائن العاقل نفسه، فهو ينبثق من إرادته التي يكون مبدؤها حينئذ هو ألا يقدم الإنسان على فعل إلا بما يتفق مع مسلمة من شأنها أن تكون قادرة على أن تصبح قانوناً كلياً عاماً(82)، والقانون الأخلاقيّ على النّحو الّذي قرّره كانط في مبدأ استقلال الإرادة هو مبدأ السّلوك العام الّذي يجب أن يُطابق الكائن العاقل بينه وبين أفعاله فهو المبدأ الكلّي والملزم الّذي ينبغي أن تكون أفعال الكائن العاقل مطابقة له من أجل تحقيق استقلال الإرادة ." (83)

يرى كانط أنَ لهذا القانون أثراً مشهود جداً فينا انه يولد شعوراً خاصاً ، فإذا فهمناه على المعنى الصّحيح وجدناه يفتح منظراً جديداً على العالم الأخلاقي ؛ هذا الشعور الأخلاقي هو الاحترام ، والاحترام بمعناه الدقيق ليس ميلاً نحو الموضوع الذي يلهمه ولا نفوراً ، بل أنه عند كانط شعور فريد ، يمكن أن نسميه شعوراً ذهنياً ، إنّهُ شعورٌ ناتجٌ عن فكرة خالصة ، في حين أنَّ المشاعر الأخرى ناتجةٌ عن موضوعات فالاحترام هو الانطباع الّذي يصنعهُ القانون على حساسيّتنا ؛ إنّهُ وعينا بأنّنا خاضعون لهذا القانون(84).

والقانون الأخلاقي عند كانط لا يأمرنا كما ذكرت **الباحثة** مسبقاً بأن نعمل لتحقيق سعادتنا؛ بل يأمرنا بأن نغض النظر عنها، فالعقل يتطلب أن من أدى واجبه يحصل عاجلا أو آجلا على السعادة؛ وأن تكون الفضيلة، في طبيعة الأشياء، الوسيلة التي لا تخطئ للوصول إليها(85).

---

(81) إمانويل كانط :**نقد العقل العملي**، ترجمة غانم هنا،مصدر سابق ،ص157.

(82) زكريا إبراهيم :**المشكلة الخلقية**، مرجع سابق،ص 171.

(83) إبراهيم مدكور : **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق ، ص 145.

(84) إمانويل كانط :**نقد العقل العملي**،ترجمة هنا غانم، مصدر سابق ، ص 137.

(85) اميل بوترو :**فلسفة كانط**، مرجع سابق، ص306.

ويري كانط أن تحقيق الخير الأعظم في العالم هو الموضوع الضروري للإرادة الذي يمكن أن يتحدد بالقانون الخلقي، وذلك بمطابقة النيات أو المقاصد للقانون الخلقي مطابقة تامة، وهذا هو الشرط الأسمى للخير الأعظم، فالقانون الأخلاقي أو قانون الإرادة قانون قبلي هو أساس محدد للفعل ووفقا له ليبدو الفعل محددا بالعقل العملي ، وهو مستقل تماما عن رغباتنا الطبيعية، ولأن الإمكانية الأخلاقية للفعل لها أسبقية في هذه الحالة لا يكون الموضوع ولكن قانون الإرادة أي القانون الأخلاقي هو الدافع للفعل.(86)

كما أن تحدد الإرادة تحددا مباشرا بواسطة القانون والشعور بذلك يسمى بالاحترام، بحيث يعتبر هذا الاحترام أثرا للقانون على الذات لا علة له، وعلى ذلك فإن موضوع الاحترام هو القانون وحده، أي القانون كما نفرضه على أنفسنا، وليس نتيجة قسر خارجي فهو فعل حر، وبالتالي الشعور بالاحترام يكون فقط بالنسبة إلى ما يحدد إرادتي ولا يخدم ميولي أو لا يجعلها تتحكم في اختياري، وفي هذا **يقول كانط**" إن ما يتصل بإرادتي على هذا النحو هو القانون الخالص في ذاته، وهو الذي يمكنه أن يكون موضع احترامي، وبالتالي يمكن أن يكون أمرا، فإذا لزم على الفعل الذي يتم بمقتضى الواجب أن يستبعد استبعادا تاما نفوذ الميل، ومعه كل موضوع للإرادة، لما بقي للإرادة شيء يمكن أن يحددها تبعا لتلك للقاعدة التي تلزم بطاعة هذا القانون، حتى لو جاء ذلك على حساب جميع ميولي(87).

رابعاً:القواعد الأخلاقية للواجب عند كانط :

يحدد كانط قواعد ثلاث جوهرية للقانون الأخلاقي لا بد أن يلتزم بها الفعل الأخلاقي حتى تكون له قيمة أخلاقية وهي **كالآتي :**

أ / قاعدة التعميم

اعمل دائماً بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدةِ فِعلِك قانوناً كلياً للطبيعة[88]

تقوم هذه القاعدة على الأمر الآتي : " إفعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام " (89)

---

(86) فريال حسن خليفة :**الدين والسلام عند كانط**، ط1،العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001 ص 68.

(87) إمانويل كانط :**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق،ص243.

[88] Kant , The Fundamental Principles of the Metaphysics of Ethics . Trans . O . Manthey , Appleton , Century , Crofts , inc . New York , 1938 , P . 17 .

(89) إمانويل كانط : **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدر سابق ، ص 94 .

هذه القاعدة تنص على أن الخير يكون عاماً للإنسانية الجمعاء فما هو خير لي يكون خير للإنسانية ككل ؛ أي أعمم الفعل الأخلاقي ، وأن أطبق قانونه على كل البشرية ، مثلا حينما أكون مخلصاً وأميناً لصديقي ألتزم بذلك مع جميع الناس ولا أخلص لفرد دون سواه ، فهذا الأخير يتنافى مع القانون الكلي العام، وهنا بعض الواجبات تكون واجبات تخصنا في ذاتنا وأخرى خارجة عنا ، وبهذا الواجب يقر بضرورة الأمر المطلق وأن تقوم بالفعل الخير وفقا للقانون العام الذي يناسب الإنسان في أي ظرف من الظروف ،فيحتم علينا الأمر المطلق أن نقوم بالفعل وفقا لقانون عام يصلح للإنسان بما هو إنسان في كل زمان ومكان(90).وتلك قاعدة أساسية اعتبرها كانط بمثابة الأساس لبقية القواعد ، وهي تعني أن معيار الفعل الخلقي، هو إمكان تعميمه دون أن نقع في تناقُض، أما إذا أدي تعميمك لهذا الفعل إلي لون من التناقض، كان الفعل متعارضاً مع القانون الخلقي[91]

وضع كانط لهذه القاعدة عدة أمثلة ومنها ما يلي " إن شخص يحس بالضجر من الحياة نتيجة لسلسلة من الشرور وصلت به إلى حد اليأس ويظل مالكا لزمام عقله بحيث يمكنه أن يسأل نفسه ـ إن لم يكن مما يتعارض مع الواجب إتجاه نفسه ـ أن يضع حدا لحياته(92)؟ ". هنا نقول أن ذلك الشخص الذي سئم من الحياة ويريد الموت يقوم بعملية الإنتحار فهنا فعله هذا لم يصدر عن أمر الواجب، وبالتالي يصبح فعله غير أخلاقيا ،أما إذا كان الإنسان متمسك بالحياة ويحب أن يعيش مهما كانت الظروف القاسية يحاول التغلب عليها فإن سلوكه هذا يعتبر أخلاقيا يتماشى مع الواجب .

وبالتالي فإن الطبيعة لو أقرَّت قانون القضاء علي الحياة بواسطة الانتحار، لتناقضَتْ مع نفسها ؛ لأنها تعمل – أصلاً – للمحافظة علي البقاء، والعمل علي تنمية الحياة، ومن ثم يوقِعنا تطبيق مبدأ حب الذات في تناقُض . وعليه فإنه لا يَصلح لأن يكون قاعدة عامة، أو قانوناً كلياً للطبيعة." (93)

ب– قاعدة الغائية تنص هذه القاعدة على ان:

(90) محمد مهران رشوان : **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ، مرجع سابق ، ص 166 .

[91] Jurgen , Habermas ; Moral Consciousness and Communicative Action , translated by Lenhardt and Shierry Weber Nicholsen , Cambridge , Massachusetts The MIT Press ، 1990 , P . 67 .

(92) إيمانويل كانط : **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدرسابق ، ص 95

(93) علي عبد المعطي محمد : **اتجاهات الفلسفة الحديثة** ، دار المعرفة الجامعية ، 1993 ، ص 434.

– اعمل دائماً ، بحيث تعامل الإنسانية في شخصك ، وفي الأشخاص الآخرين كغاية في ذاتها ، لا مجرد وسيلة .[94]

هنا كانط يحاول أن يبين لنا كيف يمكن تطبيق الأمر الأخلاقي المطلق بأن لا نعامل الآخرين بوصفهم مجرد وسائل لغاياتنا وغايات غيرنا فحسب، بل يجب أن نحترمهم دون محاباة أو استغلال للطرف الآخر، ويحدد ذلك متجسدا في سلوك الفرد في ذاته وليس هذا فقط بل حتى في الأفراد الآخرين أي غير الذات الفردية الواحدة وهو ما يجعل من الإنسانية ، غاية يجب أن يراعيها المرء في سلوكه، وكذلك الإنسان الفرد ، فهو غاية في ذاتها ، ولا يصح أن يعامَل كوسيلة لتحقيق غايات الآخرين؛ ذلك لأن الأشياء المادية هي وحدها التي يمكن أن تُستخدَم لتحقيق أغراض المرء الخاصة، أما الموجودات العاقلة فهي غاية في ذاتها . "(95)

في ذلك **كانط** يضرب لنا مثال " الشخص الذي يفكر في الإنتحار سيسأل نفسه إذا كان من الممكن أن يتفق مسلكه مع فكرة الإنسانية بوصفها هدفا في ذاته فإذا لجأ إلى تحطيم نفسه ليهرب من حالة مؤلمة فإنه يستخدم بذلك شخصا كمجرد وسيلة، ولكن الإنسان ليس شيئا، وبالتالي ليس موضوعا يمكن ببساطة أن يعامل معاملة الوسيلة، بل ينبغي النظر إليه في كل أفعاله بوصفه دائما هدفا في ذاته (96).

<u>مما تقدم تكشف الباحثة أن كانط وبحسب تصوره لالتزام الواجب من ناحية الذات الشخصية لكيفية تفكيره في الانتحار أراد أن يؤكد علي أن الإنسان لا يعتبر شيئا ليكون في حد ذاته وسيلة ولكن يعتبر غاية في جوهره الباطني .</u>

<u>ج / قاعدة الحرية (الاستقلال الذاتي)</u>

استخلص **كانط** من مفهوم القاعدتين السابقتين قاعدة ثالثة صاغها علي النحو التالي:

" **افعل علي أن تراعي في فعلك أنك خاضع للقانونِ ، ومصْدرِه في الوقت ذاته .** [97]

فهي تقر بضرورة الالتزام بالقانون باعتباره المصدر الوحيد له، و تكون هذه الإرادة بحيث هي غاية في ذاتها وليس مجرد وسيلة ،وأن الفعل الخلقي أساس ومنبعه السلطة

---

[94] Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit , P. 192 .

(95)عادل العوا : **<u>المذاهب الأخلاقية عرض ونقد</u>** ، جـ 1، ط3 ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1958 ، ص 258.

(96) إيمانويل كانط : **<u>تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق</u>** ، مصدرسابق،ص 259

[97] Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit , P. 198.

الداخلية العميقة التي ترى أن الإرادة هي جوهر للتشريع الخير فهي تعمل على أن تكون مستقلة لتمام حريتها " **فكانط** يقرر أن مصدر الإلزام الخلقي هو سلطة داخلية تجعل من الإرادة مصدر التشريع الخلقي وهذه القواعد تتطلب من الفرد أن يعمل بحيث تكون القاعدة التي يصدر عنها سلوكه معبرة عن استقلال إرادته " (98).

فهذه الإرادة تكون خيرة خيراً مطلقاً لما نستطيع تغيير قاعدة فعلها إلى قانون كلي عام فهذا الأمر الأخلاقي الخير يشرع للإنسان نفسه واجبات يلتزم بها، وذلك يكون وفق حريته الشخصية، وليس الخضوع والاجبار، هذه الإرادة تكون مطبقة للقانون الأخلاقي الواجبي وما تمليه عليه نفسه، فالدافع للقيام بهذا العمل لا يكون منطلقه من الواقع الخارجي، أو اكراه له وإنما ما تمليه عليه ذاته الداخلية؛ أي مما تسمح له الذات المفكرة العاقلة والتي تميز بين الفعل الحسن والفعل القبيح (99).

خامساً: الحرية الأخلاقية عند كانط

احتلت فكرة الحرية في نسق كانط النقدي ذروته واعتلت أعلي قيمته، فهي تشمل وحدة وتماسك المذهب النقدي لكانط ،ويعتبر مفهوم الحرية حجر الأساس في كل النسق المعماري للعقل العملي لكانط ، بوصفها شرطا للقانون الأخلاقي لا بوصفها موضوعا للفهم إذاً الحرية هي شرط القانون الأخلاقي(100).

فكانط يصرّح في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق أن الحرية هي خاصية جميع الكائنات العاقلة، إذ أنه بما أن الأخلاقية لا يصلح قانوناً لها إلا من حيث كوننا كائنات عاقلة، فينبغي لها كذلك أن تكون صالحة لجميع الكائنات العاقلة، ولما كانت هذه الأخيرة من الواجب أن تستمد من خاصية الحرية وحدها، بذلك نصل إلى إثبات أمر مهم وهو أننا من الواجب كذلك نثبت أن الحرية خاصية تتصف به إرادة جميع الكائنات العاقلة(101).

كما يذهب كانط إلى أن الحرية هي إحدى مسلمات العقل العملي تلك المسلمات هي الحرية، وخلود النفس، ووجود الله "و كانط ينسب إلى العقل العملي القدرة على تحديد الإرادة في استقلال تام عند كلّ عملية طبيعية، ومن ثم فإنه يرى أن العقل العملي يعيّن

(98) محمد مهران رشوان : **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ، مرجع سابق ، ص 170.

(99) مصطفى عبده : **فلسفة الأخلاق** ، مرجع سابق ، ص 68.

(100) إمانويل كانط :**تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق** ،مصدرسابق ، ص31.

(101) إمانويل كانط :**تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق** ، المصدرالسابق ، ص108.

موضوعه الخاص ألا وهو الفعل الحر، لأن العقل النظري يعجز تماما في البرهنة عليها، بذلك علينا أن نسلم أو نفتر أن الحرية يتميز بها الإنسان لكونه كائن عاقل(102).

ويري كانط أن الشرط الأول اللازم توافره حتى يصبح المثل الأعلى الأخلاقي حقيقة واقعة، هو الحرية، حيث لا تكون حرية لا تكون أخلاق، ولا أخلاقية من غير حرية وبالتالي الحرية هي القوة العظمى في الحياة البشرية(103)؛ فالحرية هي دعامة الحياة الأخلاقية، ولولاها لما كان الإنسان كائنا أخلاقيا، فلا أخلاق من دون حرية.

والفعل الأخلاقي لا يستمد إلا من إرادتنا وكياننا الداخلي، لذلك لا يكون هذا الفعل حراً إلا إذا اشتق من الإرادة الداخلية للإنسان، لهذا السبب تريد الحرية دائما أن يكون هذا الفعل إملاء لما يجول في هذا الكيان الذي لا يخرج إلا لذاته (104)،هذا هو السبب الذي يجعل الفعل الأخلاقي فعلاً حراً، فلا يكون حرا ًإلا باشتقاقه من الإرادة الداخلية للإنسان، وبالتالي الفعل الأخلاقي يعين من طرف الجزء الحر والعقلي من الإنسان.

رؤية في فلسفة كانط الأخلاقية :

1- استبعاد العواطف والميول .

إن استبعاد **كانط** للعاطفة ، يعني تجاهله غالبية البَشَر ، بمكوناتهم المذهبية والعاطفية ، الذين يَسعوْن بتصرفاتهم وسلوكهم ، إلي غايات تَختلِط فيها الأهداف بتحقيق منافع ، أو بحث عن سعادة ، أو تَحْكُم أعمالهم دوافع الرجاء أو الخوف ، وتَتَعَدَّد واجباتهم بِتَعَدُّد الأحوال والعلاقات .[105]

إن مجمل هذا النقد – من وجهة نظر **الباحثة** – أن للعواطف الإنسانية تأثيرها الواضح في سلوك الإنسان ، ولا يمكن استبعادها بسهولة من حياته؛ لكي نجعل العقل وحده يتحكم في السلوك الأخلاقي. يقول **لورانس:** " تلك هي المنطقة التي تجاهلها وأغفلها كانط [106]

2- تحريم الاستثناء من القاعدة الخلقية .

---

(102)إمانويل كانط :**تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق** ،مصدرسابق ، ص109.

(103)عثمان أمين :**رواد المثالية في الفلسفة الغربية** ، مرجع سابق،ص119

(104) زكريا إبراهيم :**المشكلة الخلقية**،مرجع سابق ، ص32.

[105] Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit, P 197 .

[106]Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit , P . 198 .

إن رفض الاستثناءات في القواعد الخلقية، يعني أن الظروف لابد أن تأتي دائماً مواتية لمبادئ العقل . لكن في بعض الأحيان يكون الواقع علي عكس ذلك .. ويحتاج إلي استثناء، ويكون هذا الاستثناء – أيضاً – من صميم الفعل الخلقي[107]

فمثلاً عندما يقع جندي أسيراً في أيدي الأعداء .. فإنه لابد أن يكذِب عليهم؛ حتى لا يُفشِي أسرار وطنه الحربية . لكنه – من وجهة نظر كانط – يجب أن يقول الصدق ، ويفشي أسرار وطنه للعدو ؛ ليصبح بذلك رجلاً أخلاقياً مثالياً ، يقول الصدق لذاته دون أي منفعة . " فمثلاً لا يُسمح لقائدي السيارات بتجاوز إشارات المرور. بينما في حالات الطوارئ فإنه يُسمح لقائدي سيارات الإسعاف والشرطة بتجاوز الإشارات الحمراء. فهل كان كانط لا يري إعطاء رخصة لهذا الاستثناء؟ بالطبع لا . إلاّ أنه من الإنصاف الأخلاقي أن نبرِّر هذا الاستثناء[108] فالحياة الإنسانية تحتاج إلي استثناءات كثيرة ، قد تقف ضد الأحكام الأخلاقية[109]

3 – مثالية القيم الخلقية

إن الواجب بأوامره المطلقة ، لا يساعد الإنسان العادي في حياته اليومية الواقعية، علي تدبير شئونه العملية ؛ لأن الواجب – هنا – يأخذ شكلاً مثالياً متطرفاً[110]

4 – العقل وحده ليس مصدراً للأخلاق.

هاجم رجال الدين فلسفة **كانط** الأخلاقية ؛ لأنه جعل **الإلزام الخلقي** يصدر عن العقل وحده. دون نظر لأوامر الدين، ودون خوف من عقاب الله. وهذا يعني الاكتفاء بالعقل، والاستغناء عن الدين الذي أنزله الله تعالي؛ لتنظيم حياة الناس وأخلاقياتهم. ولكن من الخطأ اعتبار العقل مصدراً للقيم الخلقية ... وذلك؛ لأن العقل الإنساني لا يكون في كل حالاته بمَعْزِل عن الهوى أو العاطفة تماماً ، فليس ثمة ما يضمن لنا صدق أحكامه ، حين يفضِّل نوعاً من السلوك علي نوع آخر . وقديماً أدرك بعض صوفية الإسلام هذه الحقيقة

---

[107] عادل ضاهر : نقد الفلسفة الغربية ؛ الأخلاق والعقل ، ط 1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 1990 ، ص ص 406 – 407 .

[108] Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit , P. 199 .

[109] John A . Rohr ; Public Service Ethics and Constitutional Practice , University Press of Kansas , 2000 , p . 10 .

[110] عصام كمال المصري : **الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم**، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الأسكندرية فرع دمنهور 2008، ص 249 .

النفسية وهي أن الإنسان حين يُقْدِم علي السلوك يكون أَكْثَرَ إسراعاً في اتباع ما فيه هوي نفسه، ثم يبرر لنفسه مثل هذا السلوك[111]

فالعقل يشعر – أحياناً – أنه يخضع لقوانين لم يكن هو الذي شرَّعها ، كما أنه لا يستطيع أن يغيرها ، ولا أن يتعدى حدودها . ومعنى ذلك أنه ليس هو المصدر الوحيد لفكرة الواجب، وليس هو المعيار الوحيد لتقويم الإرادة الخيرة .[112] " فلم يفهم **كانط** من الإنسان إلاّ الإنسان العاقل. بينما تقوم أخلاق الإنسان علي: العقل ، والشعور ، والعاطفة ، والبيئة ، والظروف الثقافية ، والاجتماعية جميعاً[113]

4 – التعميم .

كان من شروط الفعل الأخلاقي عند **كانط** أن يكون قابلاً للتعميم ، وأن يكون قانوناً عاماً ، وقد تعرضت هذه الفكرة – أيضاً – للنقد . فلو تصورنا أن طبيباً يخدع المريض ولا يذكر له حقيقة مرضه ؛ بقصد تخفيف الألم عنه ، وحتى لا يقع فريسة للوهم القاتل ، فإننا لا يمكن أن نصف فعل هذا الطبيب بأنه غير أخلاقي ؛ لأن نيَّته حسَنة .[114] وينطبق ذلك على من يكْذب بقصد الإصلاح بين الناس، أو حمايتهم من الأذى. كذلك فإننا لا يمكن أن نطلب من الزوج أن يعامل نساء العالم جميعاً كما يعامل زوجته . وهذا يقتضى أن نُخضِع الواجب لظروف خاصة ، ومعنى ذلك أنه لا يلزم – في كل الأحوال– أن يكون قابلاً للتعميم[115]

---

[111] صلاح الدين بسيوني رسلان : **القيم في الإسلام ؛ بين الذاتية والموضوعية** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1990 ، ص 135 .

[112] عبد الحميد عبد المنعم مدكور : **دراسات في علم الأخلاق** ، مرجع سابق ، ص 172 . **وكذلك** :

– محمد مهران رشوان : **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ، مرجع سابق ، ص 117 .

[113] سامية عبد الرحمن عبد السلام : **القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر**، مرجع سابق ، ص 96 . بتصرف .

[114] John A . Rohr ; Public Service Ethics and Constitutional Practice , University Press of Kansas , 2000 , p . 10 .

[115] **عصام كمال المصري : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الأسكندرية فرع دمنهور 2008 ، ص 251

5 – نقد القاعدة الثانية .

أما فيما يتعلق بالقاعدة الثانية التي تنص علي معاملة الآخرين كغاية لا كوسيلة فحسب، فمن الملاحَظ أننا حين نعاقب المجرم، فإننا نعامله **كوسيلة**، ما دمنا نجعل من عقابه عِبرة لغيره من المجرمين، أو أداة للمحافظة علي حُرمة القانون

6 – نقد القاعدة الثالثة .

وأما القاعدة الثالثة التي تنص علي أن يكون الإنسان مُشرِّعاً للقانون الأخلاقي، بحيث لا يُفرَض عليه من الخارج، فهي تتضمن حقيقة هامة، وإن كانت قد صيغت في صورةٍ مُبالَغ فيها. إذ ليس من الضروري أن يضع الإنسان لنفسه مبدأ سلوكه ، لكن من الضروري أن يكون الفاعل قد قَبِلَ المبدأ الذي يسير عليه في سلوكه بحرية كاملة[116]

"ورغم كل هذه الملاحظات ، فإن تأملات كانط – بلا ريب– قد أَغْنَتْ الحقل الأخلاقي[117] بل تري **الباحثة** أنها قد أعادت قطار التأملات الأخلاقية إلى مساره الطبيعي، حيث إنه عاد وجعل العقل معياراً ، والوجدان محكمة.(*) ورغم ذلك فإن كانط " قد استطاع – بحق – أن يُقدم أخلاقاً بهذه الصورة الرائعة من النقاء والوضوح . ولا يَسَعُ **الباحث** إلاّ أن يسجّل إعجابه الشديد بذلك المفكر الأخلاقي العظيم، الذي آمن بأنه ليس في الوجود ما هو أَقْدَسُ من القانون الأخلاقي [118]. " كما أصاب عندما أكَّد العلاقة بين العقل والأخلاق ... إن هذه العلاقة حقيقة قائمة وثابتة . ولا سبيل إلي فهْم الأخلاق علي وجهها الصحيح، بغير الفهْم المُسْبَق والواضح، لطبيعة العلاقة بينها وبين العقل."[119] الأمر الذي دفع **الأستاذ**

---

[116] إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1998 ، ص 198

[117] Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , Op , Cit , P. 212 . and alsa :
- Piers Benn : Ethics , 1st ed , UCL , Press Limited , Uk , 1998 , p 110 .

(*): ومن الدراسات التي ظهرت تؤكد علي هذه الحقيقة
- Acton , H . B ; Kant's Moral Philosophy , New York , Macmillan , 1970.
- Paton , H . J ; The Categorical Imperative , a Study in Kant's Moral Philosophy , London: Hutchison's University Library , 1946
- Sullivan , Roger J ; Immanuel Kant's Moral Theory. Cambridge: Cambridge University Press , 1989.
- Wood , Allen W ; Kant's Ethical Thought. Cambridge , Cambridge University Press , 1999.
- Ross , W . D ; Kant's Ethical Theory , Oxford , Clarendon Press , 1954.
- Teale , A . E ; Kantian Ethics , New York , Oxford University Press , 1951.
- Wood , Allen W ; Kant's Moral Religion . Ithaca , Cornell University Press , 1970.
- Webb , C . C . J ; Kant's Philosophy of Religion , Oxford , Clarendon Press , 1926.

[118] سامية عبد الرحمن عبد السلام: **القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر**، مرجع سابق، ص 95

[119] عبد الفتاح حسنين العدوي : **الحكم بين السياسة والأخلاق** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 179

يوسف كرم إلي قوله : "إن القارئ لكانط في الأخلاق ليحمد له سمو روحه ، وشدة غيرته علي الفضيلة.[120]

الخاتمة وأهم النتائج

بناء على ما سبق تحليله في البحث نستنتج بعض النتائج التي توصلت اليها و المتمثلة فيما يلي :

1. المشروع الاخلاقي الكانطي لايمكن فهمه بعيداً عن مشروعه النقدي الذي يتخذ بعداً محورياً في كل أعماله ومؤلفاته، وهذا ما يجعل الميتافيزيقا تعتمد على الجانب الأخلاقي، ولكن بعد أن تبين عدم صلاحيتها في الجانب النظري التأملي لتصبح في حاجة إلى أسس أخلاقية حتى تضمن مشروعيتها كميل طبيعي ضروري للإنسان.
2. الاخلاق عند (كانط) تتميز بأنها تتناول قوانين ما يجب أن يكون وهي الغاية التي ترجوها الفلسفة في شكلها العام في كل زمان ومكان، وهي تستمد اذن القوانين من العقل مباشرة .
3. إن خلاصة الرؤية الكانطية في مجال الأخلاق، تتمثل في أن باعث الفعل الخلقي هو الواجب من أجل الواجب، وليس هو الواجب المترتب على المكافأة، وهذا هو المتعارف عند الباحثين والنقاد ، غير أن من ينعم النظر في كتب كانط الأخلاقية والدينية ، يجد أن الرؤية الكانطية لم تقتصر في نظرتها للأخلاق على مجال العالم الحسي (عالم الظواهر) ، بل امتدت إلى أبعد من ذلك حيث عالم الشيء في ذاته (النومين)، على الرغم مما نص عليه كانط سابقاً.. في مجال العقل النظري . من أننا لن نستطيع الولوج في العالم الأخير، وهو ما حدث حقا في مجال العقل العملي؛ بسبب الحاجة الماسة إلى الأخلاق كي تكتمل صورتها، فكان ينبغي له أن يسلم بوجود العالم الآخر حيث خلود النفس الإنسانية ووجود الله علة لعالم، والضامن للأخلاق، والعالم بخبايا النفوس حيث التمييز بين نية العمل الخير من نية العمل الشرير، ومن أسباب التسليم إذعانه للأمر الواقع المعبر عن وجوب وجود من يكافئ صاحب الفعل الخلقي الخير.
4. أكد كانط أن القانون الأخلاقي نابعاً من العقل العملي المحض ، وهو في الوقت نفسه مصدر الواجب ، وجعل كانط ذلك المبدأ الصوري شعارا لا بد من رفعه حين تأديتنا

---

[120] يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مرجع سابق، ص 257 .

أي سلوك؛ كي يتسم ذلك السلوك بالقيمة الأخلاقية، و كانط قد بنى بنيانه الأخلاقي على الدين، وإذا أردت الحكم بموضوعية، قلت إن كانط صرح بأن الدين مؤسس على الأخلاق وليس العكس صحيحاً ، وكان القصد من تأكيده أن الأخلاق سابقة للدين؛ تثبيت سبق الالتزام الخلقي المتمثل بالفعل الحسن، للالتزام الديني المتمثل بممارسة الشعيرة الدينية ؛ خوفاً من الاقتصار عليها ، وجعلها أمراً تنظيمياً يرقى إلى مستوى القداسة.

5. زيادة على ما تقدم نلاحظ تأكيد كانط علي حرية الإرادة الإنسانية ، ومفهوم المسؤولية الفردية ، ورفضه فكرة الخطيئة المتوارثة.
6. بين كانط أن الأخلاق سلوك واقعي عملي لكنها رغم ذلك مبادئ أولية قبلية قائمة في العقل لذلك كان العقل هو المؤسس الفعلي للأخلاق لكن التجربة هي التي تترجمه فيتحول بذلك العقل إلى ضمير يوجه صاحبه على أرض الواقع .
7. من المستحيل عند كانط تأسيس الأخلاق على الواقع والتجربة لأن الأخلاق تريد قوانين ومبادئ موحدة ، ثابتة ، مطلقة ، والإرادة الخيرة هي وحدها التي يمكن أن تعد خيراً في ذاته أو خيراً مطلقاً أو خيراً غير مشروط لأنها خيرة في كل الظروف ومهما كانت الأحوال وهذه الإرادة الخيرة تستعين بفكرة الواجب ، ذلك أن الإرادة التي تعمل وفقا للواجب هي إرادة خيرة ، والواجب هو ضرورة إنجاز الفعل احتراماً للقانون الأخلاقي .

قائمة المصادر والمراجع:.8

أولاً مصادر باللغة الإنجليزية:

1.David Hume; An Enquiry concerning the principles of morals,(oxford press, 1894.
2-Emmanuel Kant ,fondements de la métaphysique des mœurs, traduit par Victor Delbos , année 1792 .
3-Kant , The Fundamental Principles of the Metaphysics of Ethics . Trans . O. Manthey , Appleton , Century , Crofts , inc . New York , 1938.

ثانياًمصادر مترجمة إلى اللغة العربية :

1–إمانويل كانط :مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، ترجمة :نازلي إسماعيل حسين ومحمد فتحي الشنيطي، تقديم عمر مهيل، موفم للنشر، الجزائر.
2–إمانويل كانط :نقد العقل العملي، ترجمة غانم هنا،ط2، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
3–كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، مراجعة عبد الرحمن بدوي ،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980.
4– كانط : نقد العقل العملي ، ترجمة أحمد الشيباني، ط1، دار اليقظة العربية ، بيروت ،1966.
5– كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة موسي وهبة، ط2 ، مركز الإنماء العربي ، بيروت ،1988.

ثالثاًمراجع باللغة الإنجليزية:

2.Acton , H . B ; Kant's Moral Philosophy , New York , Macmillan , 1970.
3.Aune , B ; Kant's Theory of Morals .Princeton , N . J . Princeton University Press, 1979 .
4.Brown Gregory: Leibniz's Moral philosophy, the Cambridge companion to
5.G.W. Leibnize: New essays on human understanding, trans and edited by Peter Remmant and Gonathan Bennett, Cambridge university press, 1996.
6.Gardner , Sebastian , Kant , in : philosophy 2 further though Subject . Edited A C . Gvoyling oxford University Press , London ,1998.
7.John A . Rohr ; Public Service Ethics and Constitutional Practice , University Press of Kansas , 2000 .
8.Julia, Annas ; The Morality of Happiness , Oxford: Oxford University Press 1993.
9.Jurgen , Habermas ; Moral Consciousness and Communicative Action , translated by Lenhardt and Shierry Weber Nicholsen,Cambridge , Massachusetts The MIT Press ،1990.
10.Kemp. John , The Philosophy of Kant , London : Oxford University Press , 1968
11.Lawrence . M . Hinman , Ethics A pluralistic A pproach to Moral Theory , New York , 1994.
12.Paton , H . J ; The Categorical Imperative , a Study in Kant's Moral Philosophy , London: Hutchison's University Library , 1946.
13.Piers Benn ; Ethics , London , 1998 .
14.Ross , W . D ; Kant's Ethical Theory , Oxford , Clarendon Press , 1954.
15.Sullivan , Roger J ; Immanuel Kant's Moral Theory. Cambridge: Cambridge University Press , 1989.
16.Teale , A . E ; Kantian Ethics , New York , Oxford University Press , 1951.

17.Watson. John , The Philosophy of Kant Explained .. New York : Garland Publishing Co. , 1976 .
18.Wolff , Robert Paul ; Kant's Theory of Mental Activity . Cambridge , Massachusetts Harvard University Press , 1963.
19.Wood , Allen W ; Kant's Ethical Thought. Cambridge , Cambridge University Press , 1999.
20.Wood , Allen W ; Kant's Moral Religion . Ithaca , Cornell University Press , 1970.

رابعاًمراجع مترجمة إلى العربية:

1-إميل برهييه :تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج 5، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر 1987.
2- إميل بوترو :فلسفة كانط،ترجمةعثمان أمين ، بدون ط، الهيئةالمصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972.
3-جوتفريد فيلهم ليبنتز :المونادولوجيا، ترجمة :عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1978.
4-جون هوسيرس: السلوك الإنساني مقدّمة في مشكلات علم الأخلاق، ترجمة علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعيّة،1995 .
5- جيل دولوز : فلسفة كانط النقدية ، تعريب أسامة الحاج ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1997.
6-مابوت : مقدمة في الأخلاق ، ترجمة الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1985.
7-مراد وهبة :المذهب عند كانط، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1979.
8-ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، ج1 ، ط3، 1973.

خامساًمراجع باللغة العربية:

1-إبراهيم مدكور : المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،1983.
2-إبراهيم مصطفى إبراهيم :الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000
3-أحمد أمين : الأخلاق ،ط3، دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، 1931.
4-إمام عبد الفتاح إمام : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1998 .
5-توفيق الطويل : العقليون والتجريبيون في فلسفة الأخلاق ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1952.
6-توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ،1959.
7-حسن الشرقاوي : الأخلاق الإسلامية ، ط1، دار المعرفة الجامعية ،1998.
8-حسن حنفي حسنين : قضايا معاصرة ؛ في الفكر الغربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

9-حيرش بغداد محمد :الخطاب المثالي في الفلسفة الألمانية ، ط 1 ، ابن النديم للتشر ، دار الروافد الثقافية ، 2015.

10-زكريا إبراهيم : مشكلات فلسفية ؛المشكلة الخلقية ، ج 6، ط 1 ، دار مصر للطباعة ، مصر ، 1969.

11-سامية عبد الرحمن عبد السلام : القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، مكتبة النهضة المصرية ،1992.

12-السيد محمد بدوي : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، بدون ط ،2000.

13-صلاح الدين بسيوني رسلان : القيم في الإسلام ؛ بين الذاتية والموضوعية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1990.

14-صلاح قنصوه : نظرية القيمة في الفكر المعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1986.

15- عادل العوا : المذاهب الأخلاقية ؛ عرض ونقد ، جـ 1، ط3 ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1958 .

16-عادل ظاهر:_نقد الفلسفة الغربيّة الأخلاق و العقل،ط1،دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1990.

17-عبد الحميد عبد المنعم مدكور : دراسات في علم الأخلاق ، مكتبة الشباب للنشر والتوزيع، 1990.

18-عبد الرحمن بدوي : الأخلاق عند كانط ، وكالة المطبوعات،الكويت،1979.

19-عبد الفتاح حسنين العدوي : الحكم بين السياسة والأخلاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1992.

20-عثمان أمين :رواد المثالية في الفلسفة الغربية،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1989.

21-عصام كمال المصري : الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث دراسة مقارنة في فلسفة القيم ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الأسكندرية فرع دمنهور 2008.

22-على عبد الله الصغير : مفهوم الأخلاق وخصوصيتها في النظرية الأخلاقية الكانطية ، العدد الأول، مجلة الطريق ،دار الينابيع، دمشق، 1990 .

23-علي عبد المعطي محمد : اتجاهات الفلسفة الحديثة ، دار المعرفة الجامعية ، 1993.

24- فريال حسن خليفة :الدين والسلام عند كانط، ط1،العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

25-فضل الله محمد إسماعيل : فلسفة القوة أصولها وتطورها في الفكر السياسي الغربي،ط 1، مكتبة بستان المعرفة للنشر والتوزيع ، كفر الدوار.

26-فضل الله محمد اسماعيل ، سعيد محمد عتمان :نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، بدون ط ، مكتبة بستان المعرفة ، كفر الدوار ،2006.

27-فؤاد زكريا :سبينوزا ، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983.
28-محمد السيّد أحمد: الأخلاق عند هيوم، بدون ط ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، 1992.
29-محمد توفيق الضوي :الفلسفة الحديثة في القرنين السابع عشر والثامن عشر،ج1، دار الوفاء، شبين الكوم0
30-محمد عبد الستار نصار : دراسات في فلسفة الأخلاق ، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،1982.
31-محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ط10،مؤسسة الرسالة ،1998 .
32- محمد عثمان الخشت :الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،بدون تاريخ0
33-محمد عثمان الخشت :فلسفة الدين في ضوء تأويل جديد للنقدية الكانطية،ط2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ، 2012.
34-محمد علي أبو ريان :تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، ج4 ،دار المعرفة الجامعية ، مصر.
35-محمد مهران رشوان :تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، بدون ط ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998.
36-محمود اسماعيل قباري:علم الاجتماع والأيديولوجيات_،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، بدون تاريخ.
37-محمود زيدان:كانط وفلسفته النظرية، ط3، دار المعارف ،1979.
38-مصطفي عبده : فلسفة الأخلاق ، ط 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999.
39-مهدي فضل الله :فلسفة ديكارت ومنهجه، ط2 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، 1987.
40-نظمى لوقا :الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، 2003.
41-يمنى طريف الخولي :فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت ، بدون تاريخ .
42-يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي ،2012.